

جَمْعُ هَيْرَةِ مَقَالَاتِ  
الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ شَاكِرٍ

جَمَعَهَا وَقَرَأَهَا وَقَدَّمَ لَهَا  
الدُّكْتُورُ عَائِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ جَمَالِيْن

الجزء الأول

النائِثِرُ مَكْتَبَةُ الْخَانِجِي بِالْقَاهِرَةِ

حقوق الطبع محفوظة


الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٢٣٩٠ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : 9 - 015 - 353 - 977 - I.S.B.N

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

٨٣٣٨٢٤٤ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٠ : 

e-mail : pic@6oct.ie-eg.com

« إِنَّمَا حَمَلْتُ أَمَانَةَ هَذَا الْقَلَمِ لِأُصَدِّعَ بِالْحَقِّ جِهَارًا فِي غَيْرِ جَمْعَةٍ وَلَا إِذْهَانٍ . وَلَوْ عَرَفْتُ أَنِّي أَعَجَزُ عَنْ حَمْلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ بِحَقِّهَا لَقَذَفْتُ بِهَا إِلَى حَيْثُ يَذُلُّ الْعَزِيزُ وَيُؤْتَمَنُّ الْكَرِيمُ ... وَأَنَا جَنْدِيُّ مِنْ جُنُودِ هَذِهِ الْعَرَبِيَّةِ ، لَوْ عَرَفْتُ أَنِّي سَوْفَ أَحْمِلُ سَيْفًا أَوْ سِلَاحًا أَمْضَى مِنْ هَذَا الْقَلَمِ لَكَانَ مَكَانِي الْيَوْمَ فِي سَاحَةِ الْوَعْيِ فِي فِلَسْطِينَ ، وَلَكِنِّي نَدَّرْتُ عَلَى هَذَا الْقَلَمِ أَنْ لَا يَكْفَى عَنِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ الْعَرَبِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَحْمِلَهُ بَيْنَ أَنْأَمَلِي ، وَمَا أُتِيحُ لِي أَنْ أَجِدَ مَكَانًا أَقُولُ فِيهِ الْحَقَّ وَأَدْعُو إِلَيْهِ ، لِأَيِّنِّهُنَّ عَنِ الصَّرَاحَةِ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَنْهَى النَّاسَ أَوْ يَخْدَعُهُمْ أَوْ يَغُرُّ بِهِمْ أَوْ يَغْرِهُمُ بِيَاظِلٍ مِنْ بَاظِلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ » .

الرسالة ، العدد ٧٥٦ ، ديسمبر ١٩٤٧ ، ص ٣ ، ١٤ ،

المقالات ١ : ٤٩٠

« وَلِهَذِهِ الْفُصُولِ غَرَضٌ وَاحِدٌ ... هُوَ الدِّفَاعُ عَنِ أُمَّةٍ بِرُمَّتِهَا ، هِيَ أُمَّتِي الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ... فَصَارَ حَقًّا عَلَيَّ وَاجِبًا أَنْ لَا أَتَلْجَلِجَ أَوْ أُحْجِمَ أَوْ أُجْمَعِمَ ، أَوْ أُدَارَى ، مَا دُمْتُ قَدْ نَصَبْتُ نَفْسِي لِلدِّفَاعِ عَنِ أُمَّتِي مَا اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا = وَصَارَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَسْتَخْلَصَ تِجَارِبَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِي قَضَيْتُهَا فَلِقَاءَ حَائِرًا ، أَصَارِعُ فِي نَفْسِي آثَارَ عَدُوِّ خَفِيِّ ، شَدِيدِ النُّكَايَةِ ، لَمْ يَلْفِتْنِي عَنْ هَوْلِ صِرَاعِهِ شَيْءٌ ، مِنْذُ اسْتَحْكَمْتُ قُوَّتِي وَاسْتَنَارَتْ بِصِيرَتِي » .

أباطيل وأسما، ص : ١٠ - ١١

\*\*\*

رحمة الله عليك يا أبا فهر ، رحمة الله عليك ! قَلْبُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَتَوَثَّبِ ، وَعَيْنُهَا السَّاهِرَةِ ، وَحَصْنُهَا الْحَصِينِ .  
فَإِنْ تَكُنْ قَدْ ذَهَبْتَ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيًا مَرْضِيًّا ، فَفِي قَلْبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَعِيشُ رُوحُ الْخَالِدَةِ الَّتِي لَا تَفْنَى ، وَفِي قَلْبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُخْفَرُ قَبْرُكَ الَّذِي لَا يُنْسَى .

\*\*\*



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

- ١ -

## قصة الكتاب

الحمد لله الذى كرم هذه الأمة بنور الإسلام ليخرجها به من ظلمات الجهل والشرك والطغيان ، والحمد لله الذى شرفها بجعلها مهبط آخر رسالاته وأتمها وأكملها ، والحمد لله الذى بعث منها سيد العالمين شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا يآذنه وسراجا منيرا ، وأرسله للناس كافة رحمة للعالمين ، ﷺ تسليماً كثيراً .

وبعد ، قابلت الأستاذ شاكر رحمه الله أول مرة عام ١٩٥٨ وأنا بعد طالب فى السنة الثالثة من دراستى الجامعية وقد وضحْتُ طرفا من ذلك فى مقالى عن كتاب طبقات فحول الشعراء (١) ، وكذلك فى مقدمة الحماسة البصرية (طبع مكتبة الخانجي) . وعلى فارق مابيننا من السن والعلم فقد وجد شيئا منى ينسرب فى نفسه ، وأنستُ أنا به كما أنس هو بالرافعى . ولزمت داره كل يوم تقريبا منذ مطلع الشمس حتى منتصف الليل ، أقرأ مقالاته فى الرسالة وسائر المجلات والصحف بعد أن أنتهى من عملى فى رسالة الماجستير . ومضت السنون وعرفتُ عن الأستاذ شاكر مالم أكن أعرف . وكنت شابا طُلعة ، وكان هو شيخا طويل الصمت ، قارَّ النَّفْس ، يرمى بعينيه وراء الحُجُب . ولكنى كنتُ أحسُّ أحيانا أن صدره يضيق بما يكتم . فقد كان يخيم علينا صمت ثقيل بعد أن نصلى المغرب ونجلس فى شرفة منزله نحتسى الشاى . فإذا آنست أنى مُخْرِج منه بعض ما أريد ، أبديتُ رأيا أو تعليقا على بعض ماجاء فى المقالات من أحداث أو رجال سماهم

(١) انظر مجلة معهد المخطوطات ، المجلد ٤٢ ، الجزء الأول ، مايو ١٩٩٨ ، ص ٩٥ - ١٤٠ .

أو أشار إليهم ولم يستمهم . وتمضى الدقائق وكأنها ساعات ، وإنى لأشعر خلال ذلك بهذا الصراع المخيف بين إلحاح ما أَلِفَ وصلابة الأغلاق التى يضربها على ضمير نَفْسِه وعناده الذى يأبى عليه الكلام عن نفسه ، وبين إلحاح هذا الهم الجاثم على صدره يريد أن يجد له مَسْرِبًا ، فقد كان الأستاذ شاكر رحمه الله ، قاسيا عنيفا ، ولكنه كان رقيقا ألّوفا أيضا ، وكان جلدا صبورًا ، ولكنه ربما تخشع واستكان للجزع ، وكان مستوحشا أبدا ، ولكنه ربما أَلِفَ وانقاد ، وكان كالطود رسوخا وشموخا ، ولكنى كنت أنفذ إليه أحيانا - عندما آنس فى نفسه هذا الصراع بين القوتين - فأجد الزلزلة فى قلبه ، والاضطراب فى نفسه ، والتهدج فى صوته . وعندئذ يشق كثافة الصمت الثقيل البهيم ويحدثنى عما أثرت بما شاء إلى أن يشاء ، ثم يعود إلى صمته المضمّت من جديد كأن لم يكن حديث . كان الأستاذ رحمه الله وديعا رقيقا بأشأ ألّوفا ، وكان قلبه يفيض شفقة ورقة وحنانا ، ولكنه أصيب بكوائن بعد بوائق جعلت منه رجلا ظنونا منطويا حزينا فهو لذلك يضمن بما فى قلبه أن يطلع عليه أحد إلا بمقدار ما يريد هو .

ثم أزاحت ندوة يوم الجمعة صخرة عن باب كهف توارت فى أعماقه كنوز لَقَّها الزمن فى محاربه ، ضمت الندوة رجلا مختلفى المشارب والأهواء ، منهم الساسة والأدباء والشعراء ، وعاشقو التراث ، ومحبو الأدب الحديث ، ورجال لا يمتون إلى العربية تخصصا أو احترافا ، ولكنهم واسعوا الثقافة . وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ رشاد مهنا ، والأستاذ حسين ذو الفقار صبرى ، والشيخ الباقورى ، والأستاذ عبد الله التّل ، والأستاذ وديع فلسطين ، والأستاذ عبد الرحمن شاكر ، والأستاذ محمود حسن إسماعيل ، والأستاذ جلال كشك ، والأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، والأستاذ رشاد عبد المطلب ، والأستاذ سيد صقر ، والأستاذ حسن كامل الصيرفى ، والأستاذ فؤاد سيد ، والأستاذ ياسين جمعة ، والدكتور عبد الله غنيم والدكتور يعقوب غنيم والدكتور عبد الله محارب ، والأستاذ أحمد المانع والشيخ حمد الجاسر والدكتور عبد الله الطيّب فى بعض الأحيان ، والدكتور أبوهمام ، والدكتور إحسان عباس ، والدكتور

محمد يوسف نجم ، والأستاذ يحيى حقى ، والدكتور عبد الرحمن بدوى ، والأستاذ فتحى رضوان ، والدكتور ناصر الدين الأسد ، ناهيك عن طلبة العلم من كل حذب وصوب مثل الدكتور شاكر الفحام ، والأستاذ أحمد راتب التَّفَّاح ، والدكتور عبد القدوس أبو صالح ، وغيرهم ممن غابت عنى أسماؤهم الآن . وكنت أنا وغيرى من صغار الشباب ، خاصة الأستاذ عبد الحميد بسيونى ، والأستاذ الحسانى عبد الله ، وأخى المرحوم الطناحى والأستاذ على شاكر ، رحمه الله ، تنتشر فى مجالس القوم حيث يدور الحديث فى شتى المواضيع وتحتدم المناقشات وتصطدم الآراء ، وينبعث من غياهب الماضى ذكر رجال وأحداث ، فسمعنا ووعينا ، وعرفنا ما لم نكن نعرف عن زمن لم نشهده ، ساعدنا على أن نفهم حاضرنا وتمثله . وكنت شديد الانتباه لما يتعلق بالأستاذ شاكر ، فعرفت - إلى جانب ما حدثنى به عن نفسه كما ذكرت آنفا - أشياء أُخر عنه . واستبان لى حيثئذ أننى لست أمام محقق أديب فقط <sup>(١)</sup> ، ولكن فى حضرة رجل مناضل مصرى عربى إسلامى ، نافح عن مصر وهاجم سياستها ، وهوى بسنان قلمه طعنا فى الاستعمار البريطانى وأعوانه من بنى جلدته ونافح عن قضية مصر والسودان ، وقضية فلسطين وسائر قضايا البلاد العربية والإسلامية كما سيأتى بيانه .

فلما عرفتُ ما عرفتُ أدركتُ أن العزلة التى ارتضاها الأستاذ شاكر لنفسه منذ سنة ١٩٥٣ قد حالت بين جيلنا وبين عرفان نضاله فى سبيل أمته ، وأن هذا الجهل سيزداد إيغالا فى مطارح الزمن ، وستنشأ أجيال بعدنا أشد منا عمى ، وأقبح جهلا ، وأضيق لِدِكْرِهِ . فاستجمعت شجاعتي ذات مساء فى أواخر شهر إبريل سنة ١٩٦١ ، وقد آنست منه « انبساطا » ، فقد كان يحدثنى عن واقعة فَكَيْهَةِ حدثت فى « دُكَّانِ الحاج سَعْدِ المَجْلُدِ » رحمه الله عصر ذلك اليوم ، وقلتُ : لى رجاء هو مِن حَقِّ جيلى عليك ، بل ومن حق الأجيال الآتية عليك أيضا . ففى كل أوان ، بل فى كل يوم ، ينشأ طالب علم لم يدرك زمنه ما كتبت فى المجلات

(١) كما عرفته من كتبه كتفسير الطبرى وطبقات فحول الشعراء وغيرهما ، ومن قراءتى عليه

والصحف ، وعسير عليه أن يلتصقه فيهما مع تباعد أزمانهما وندرة توافرها في المكتبات . وسوف تُسَدِّدِي إلى أُمَّتِنَا يدا لا تُنْسَى إذا جُمِعَت هذه المقالات في كتاب . فارتد إلى صمته فجأة ، وتجهم وجهه شيئا ، ونحا بصره إلى قِطْع من الليل جاثم من عن يمينه نحو رواق طويل تقوم رفوف الكتب على جانبيه ، وأطال النظر في جوفه ، ثم قال بهدوء ، كهدهوء البحر قبل العاصفة ، في صوت يضطرب بعضه في بعض اضطراب الموج في تياره « أنا لا أحب أن أعيد نُشْر شيء كتبه وقرأه الناس قبل في مجلة أو صحيفة » (١) . وقد اعتدت ألا أعاود الأستاذ شاكر في شيء يعزف عن الكلام فيه ، فسكَّتْ مُكْرَها ، وكدت أذْكُرُه بحديث رسول الله ﷺ « مَنْ سُئِلَ عَمَّا يَغْلُمُهُ فكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، ولكنني هبت أن أجبّه بمثل هذا الكلام ، وكدت أفوه بحديث آخر أسْتَلَيْتُه به : « زكَاةُ الْعِلْمِ نُشْرُهُ » ، ولكنني أمسكْتُ . ثم مضت ثلاث سنوات . وفي أواخر عام ١٩٦٤ بدأ لويس عوض نشر سلسلة من المقالات بعنوان « على هامش الغفران : شيء من التاريخ » ، فتصدَّى له الأستاذ شاكر يُفَنِّدُ مزاعمه ويُيَسِّنُ عن الدوافع الحقيقية من وراء هذه المقالات . ونَشَرَ أول هذه الردود في مجلة الرسالة ، العدد ١٠٨٩ في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٤ (٢٩ رجب ١٣٨٤) . فانبعث في نفسي أملي القديم ، ولكنني سترته إلى حين - تحت رجاء ماظننْتُ الأستاذ شاكر يستطيع ردّه هذه المرة بنفس الصرامة التي قابل بها رجائي السابق .

قلت له : إنني أظن ظنا أشبه باليقين أن لويس عوض سوف ينشر مقالاته هذه في كتاب وسيكون بأيدي الناس في هذا الزمان ومستقبل الأيام إلى ماشاء الله (٢) ، فإن لم تفعل كما سيفعل ، فسوف ينتشر هذا العلم الفاسد الذي ضمنه كتابه بين

(١) وهذا شيء كنت أعلمه عن الأستاذ شاكر ، وبالغ في ذلك حتى أنه كان يكره أن يستشهد بكلام كتبه من قبل . يقول مخاطبا محمد رجب البيومي « وأنا أكره أن أنقل كلاما لي من مكان ، ولكنك استكهرتني على نقله » . وانظر مقال « ذو العقل يشقى » ، مجلة الرسالة ، العدد ٩٧٤ ، سنة ١٩٥٢ ، ص : ٢٤٥ ، والمقالات ١ : ٥٧٤ .

(٢) وقد صدق حدسي ، فقد نشر لويس عوض مقالاته في « كتاب الهلال » ، العدد ١٨١ ،



طلاب العلم الناشئين والغافلين ، يأخذونه على محمل الجد ، فهو نتاج رجل « من كبار مثقفينا » ، كما وصفه الدكتور مندور<sup>(١)</sup> ، فإذا كان هذا ظن الدكتور محمد مندور ، رحمه الله ، وهو من هو في الأدب والنقد ، فما بالك بظن أشباه العوام وأنصاف المثقفين ؟ فالرأى أن تُجمع مقالاتك وتُنشر في كتاب يتداوله الناس ، فيعرف من يقرأ حقيقة ما كتب لويس عوض ، ومن تصدوا للدفاع عنه . وتعمدت إثارة هذا الأمر في ندوة يوم الجمعة وسرني أن بعض الحضور كانوا قد سبقوني إلى اقتراح ذلك على الأستاذ خلال مكالمات هاتفية ، وكان الدكتور محمد رشاد سالم والأستاذ عبد الرحمن شاكر من أشد الناس تأييدا وتعصيда . وبعد لأى وافق الأستاذ شاكر على جمع المقالات<sup>(٢)</sup> .

وقد ظننت أن ماصدّر به الكتاب إيذان بهجران ما أصرّ عليه من إلفه حيث قال : « وبعد ، فقد قَضَيْتُ دهرا أحمل القلم وأكتب ، ولكنى ظَلَلْتُ أكره أن أنشر على الناس شيئا قد قرأوه من قبل في صحيفة أو مجلة ، حتى إذا كان ما كتبتُه في مجلة الرسالة منذ يوم الخميس ٢٢ رجب سنة ١٣٨٤ ، وجدت إلحاحا شديدا على جَمْع ما نُشِر وإخراجه في كتاب . وكانت حُجَّة أصحابنا قاهرة لِحُجَّتِي ، ومزيلة لما أصررتُ عليه من إلفي . وعسى أن أكونَ أخطأتُ الطريقَ حين أَلْفُتُ ما أَلْفُتُ ، وَخِفْتُ أن أكونَ كتمتُ عِلْمًا يَسْرُه الله لى عن طالبِ عِلْم . ففى كل يوم ينشأ فى الناس طالبُ عِلْم لم يُدرِك زمانه ما كتبتُ وعسيرٌ عليه أن يلتمسَه مع تفرُّقه فى الصحف والمجلات . فمن أجل ذلك لم أجدُ بُدًا من الاستجابة لأصحابنا ، راضيا عنهم ، لائما لنفسي ، معتذرا عما فَرَط مِنِّي » .

فانتَهزتُ فرصة « هذا الرُّضَى » عمن أشدوا إليه هذه النصيحة ، وتَبَيَّنَه طريقا كان قد أخطأه ، ثم لاح له لاجئا مُسْتَيْبًا ، ففاتحْتُهُ فى أمر جَمْع المقالات وإخراجها فى كتاب ، لا لِمَ ذَكَرَه فى تصدير الكتاب فقط ، بل لكى يرى جيلى

(١) أباطيل وأسمار « الطبعة الثانية » ١٩٧٢ ، ص : ٢٠٠ .

(٢) نشر الجزء الأول بعنوان أباطل وأسمار سنة ١٩٦٥ ، ثم صدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ عن مطبعة المدنى ، القاهرة .

والأجيال التالية كفاخه في سبيل أمته منذ بدأ يحمل القلم . ولكن حظي من الإجابة لم يكن بأمثل مما كان منذ ثلاث سنوات ، فأمسكت مرة أخرى .

وفي عام ١٩٦٩ بدأ الأستاذ شاكر سلسلة مقالات في مجلة المجلة بعنوان « نَمَطٌ صعب ، ونَمَطٌ مخيف » ، نشر أولها في العدد ١٤٧ ، إبريل ١٩٦٩ ، وآخرها في العدد ١٥٩ ، مارس ١٩٧٠ . وأيقنت - مخطئا - أنه جامعا ومخرجها في كتاب . ولكن خاب ظني (والظن هنا بمعنى اليقين) . لله كيف كان وَقَع هذا اليقين الخاطيء ! فلم تخرج في كتاب إلا بعد ست وعشرين سنة (١٩٩٦) !

في صيف عام ١٩٧٨ قبل سفري إلى الولايات المتحدة لأعمل أستاذا بجامعة أريزونا أخبرني المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم أن النية معقودة علي إخراج كتاب يُهدى إلى الأستاذ شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، وطلب مني أن أشارك بفضل فيه ، ففعلتُ ، وأوصاني بكتمان الأمر حتى لا يصل إلى سمع الأستاذ ، فامتثلتُ . ولكن الأمر بَلَغَ أَسْماعَه ، وأَدْعُ الدكتور محمد رشاد سالم يحدثك عما وقع : « وكان من المفروض أن يصدر هذا الكتاب منذ ستين ، إلا أنه بعد أن مضت اللجنة في عملها واتصلت بالأساتذة المشاركين ، وتلقتُ عددا كبيرا من المقالات ، عَلِمَ « أبو فهر » بما نحن مُقَدِّمون عليه ، فعزَّوَقَلْنا وَحَيَّرْنَا . وكاد أن يرفض المبدأ ، حتى نجحنا في إقناعه والاتفاق على استمرار اللجنة » (١) .

وقول الدكتور رشاد سالم « فعزَّوَقَلْ عملنا وَحَيَّرْنَا » كلام في حاقِّ موضعه إزاء إعادة نشر الأستاذ شاكر أعماله أو الكتابة عنه . فأما « عرقلة » عملي في جمع مقالاته فقد ذكرتُ طَرَفًا من ذلك قَبْلُ وأمسكتُ عن بقية هنا موضعها . كان الأستاذ شاكر - كما ذكرت - قاسيا عنيفا ، ولكنه كان أيضا رقيقا وديعا ألوفا حنونًا ، فلم يشأ أن يقابل ما أردت من الإحسان بالإساءة والنكران ، فقال متلطفًا : هذا عمل بالغ التعقيد يتطلب جهدا ووقتا أنت أحوج إليهما حتى تنتهي من رسالتني

(١) دراسات عربية وإسلامية ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٠ م .

الماجستير والدكتوراه . أما « الحيرة » فإنني عندما انتهيت من كتابة رسالة الدكتوراه في ديسمبر سنة ١٩٦٨ رجعت الأستاذ إلى إلفه الذي أليف ولم يأذن لي ، وقال متلطفًا أيضا : إنك ستحتاج عما قريب إلى عمل جيّد يمكنك من الترقية ، ولن تستطيع أن تنالها بجمع مقالاتي ، هذا فضلا عن بعدها عن مجال تخصصك في الأدب القديم . فسكت مرة ثالثة على مضض ، ولكنني لم أياس ، فقد كنت ، ولم أزل ، « صعيديا » مثله .

اضطلع الأستاذ جمعة ياسين جزاه الله خيرا بمشاركته في كتاب « دراسات عربية وإسلامية » بحصر ماكتب الأستاذ شاكر من مؤلفات وتحقيقات ورتبها حسب زمان صدورها بادئا بسنة ١٩٢٦ ومنتها بسنة ١٩٨٢ . فأسدى إلى القراء فضلا عميما ، وكان ذلك عونًا لمن كتبوا رسائل جامعية عن الأستاذ محمود شاكر مثل الأستاذ محمود إبراهيم الرضواني (١٩٩٥) ، والأستاذ عمر حسن القيام (١٩٩٧) ، والأستاذ إبراهيم الكوفحي (٢٠٠٠) . أما بالنسبة لي فقد دُلْتُ عقبه كأداء ، فقد بات كل شيء تقريبا كتبه الأستاذ شاكر حتى هذا التاريخ معروفا : عنوانه ومكان نشره وتاريخه ، وما عليّ إلا النسخ أو التصوير .

أجمعت أمرى ولمت شتات نفسي وفاتحته مرة رابعة في صيف ١٩٨٥ في جمع المقالات ، فمواضعها وتواريخها الآن معروفة ، وقد دلّ هو بنفسه الأستاذ جمعة ياسين على أكثر أماكنها ، هذه واحدة . نلتُ درجة « أستاذ » عام ١٩٨٠ ، وبذلك لم أعد مضطرا إلى كتابة أبحاث ذات طابع خاص يتصل بمجال تخصصي ، هذه ثانية . فلم يبعد ولم يقارب ، وقال « ربنا يسهّل » وعلت وجهه ابتسامة خفيفة ، ونظر إليّ كالمتعجب من إصراري على مدى أربعة وعشرين عاما . ومضت السنون ولم يأذن الله بالتسهيل . ولكنني استبشرت خيرا ، فقد كنت أتحنس الأخبار من أخي الأصغر الدكتور فهد ، وعلمت أن الأستاذ شاكر صوّر بعض المقالات وكذلك فعل بأشعاره . ولكن حال الأجل دون تحقيق الأمل ، فقد توفي رحمة الله عليه في ١٩٩٧/٨/٧ .

\*\*\*

## منهج الكتاب

وفي صيف العام التالي فاتحت الأستاذ عبد الرحمن شاعر والسيدة أم فهد والدكتور فهد بعزمي على جمع مقالات الأستاذ شاعر وشعره أيضا فوافقوا شاكرين ممتنين . وأعطاني الدكتور فهد كل ما وجدته مما جمعه الأستاذ ، فقمتم بمقابلته على سرد الأستاذ جمعة ياسين من مؤلفات الأستاذ ، ثم بدأت رحلة شاقة مضنية مع المجلات والصحف التي نشرت فيها المقالات والأشعار ، فاستكملت مانقص ، ثم نظرت في بعض ملفات الأستاذ الخاصة ، فوجدت مقالة بخط يده وبعض أشعار لم تنشر . فلما استوى لى ذلك كله بدأت بالمقالات ، ورأيت أن أرتبها حسب ورودها في المجلات والصحف ، فأضع في مكان واحد كل ما نشر في مجلة الرسالة مثلا ، ثم مجلة الزهراء مراعيًا أثناء ذلك أسبقية تواريخ النشر . وقد وجدت عننا شديدا في قراءة المقالات التي نُشرت في الصحف كالبلاغ والمقطم والدستور والأهرام ، فقد طَوَى الأستاذ هذه المقالات نصفين نصفين ، فتَهَرَأَ مكانُ الطيِّ وتآكل ، فضاغ ما يقرب من سَطْرَيْنِ بعَرَضِ المقال في كل صفحة ، ولكنني خلال زيارتي لمكتبة الكونجرس الأمريكي بمدينة واشنطن استطعت أن أحصل على « ميكروفيش » فيه المقالات كاملة واضحة ، فأقمت النصوص ، والحمد لله .

وبعد أن مَضَيْتُ شوطا ، رأى الأستاذ عبد الرحمن شاعر أن أدع المقالات إلى حين ، وأبدأ بجمع أشعار الأستاذ شاعر أولا ، وكان له في ذلك حُجَّةٌ مُقْنَعَةٌ ، لستُ في جِلٍّ مِنْ ذِكْرِهَا ، ففعلتُ ، وقد يَبِيْتُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي مَقْدَمَةِ الدِّيوانِ . حتى إذا أتممتُ مراجعة الديوان وشرحه والتقديم له ، عكفت على المقالات سنتين أخريتين . ولم يكن ترتيبها حسب المجلات والصحف التي نُشرت فيها تبعا لأقدمية تواريخها بالأمر السهل . وشاركني أخي محمد الخانجي هذا العنت في صَبْرٍ وَأَنَاةٍ ، فقد كان يقوم بَصَفِّ كل مقال أعثر عليه بغضّ النظر عن تاريخه

أو مكان نشره ، ثم عُذْنَا بعد ذلك لنضع كلُّ مقال مع مجلته أو صحيفته التي نُشِر بها في نسق تاريخي ، واستدعى ذلك كثيرا من التقديم والتأخير خاصة في الجزء الثاني . واضطرت في أحيان قليلة أن أتخلى عن هذا النسق التاريخي إذا كانت هناك مجموعة من المقالات في موضوع واحد تخللها مقال أو أكثر في موضوع آخر ، فكرهت أن يفرق تاريخ النشر بين تتابع المقالات ، فجعلت هذه المقالات آخذًا بعضها برقاب بعض جِفاظًا على وحدة موضوعها .

حاولت جهدي أن أقرأ المقالات بدقة ، فصَحَّحتُ بعض ما بدا لي فيها من أخطاء ، وعسى ألا أكون قد أخطأت الطريق ، ووضعت التشكيل حيث ظننت أنه مُزِيل لِلْبَس أو مُعِين على فَهْم ، وشرحتُ بعض ألفاظ ، أوضحتُ بعض ما استشهد به الأستاذ مما يجرى مجرى الأمثال ، أو يكون جزء من حديث شريف ، أو غير ذلك . وللأستاذ شاكر شروح قليلة أثبتت أمامها اسمه (شاكر) .

وكنت أنوى - لتمام العمل - أن أفعل ثلاثة أشياء ، أولها : أن أكتب مقدمة ضافية ، كما فعلت في مجموع شعر الأستاذ . ثانيها : أن أترجم لجميع الأعلام الذين وَرَدُوا في سياق المقالات ، ولو ترجمة موجزة . صحيح أن بعض هذه الأعلام معروفة كالأستاذ سيد قطب والأستاذ مصطفى صادق الرافعي والأستاذ العقاد ، ولكن صحيح أيضا أن بعضها غير معروف خاصة للأجيال التي لم تشهد هذا الزمان مثل الأستاذ صبحي البصّام ، والأستاذ محمد رجب البيومي ، أطال الله بقاءه ، والأستاذ محمد عبد السلام القبّاني وغيرهم . ثالثها : أن أجعل ذبلا للكتاب يَضُمُّ المقالات التي نقدت بعض كتابات الأستاذ شاكر ، مثل نقد كتاب طبقات فحول الشعراء للأستاذ سيد صقر رحمه الله ، أو ردت عليه نُقْده ، مثل مقالات الأستاذ سيد قطب بشأن الرافعي والعقاد ، ومقالات الأستاذ بشر فارس ، والأستاذ محمد عبد الغني حسن وغيرهم كثير .

ولكن الأستاذ محمد الخانجي - لدواعي النشر - رأى أن ذلك سيضيف مايقرب من ثلاثمئة صفحة أخرى ، فَتَخَلَّيتُ عما نَوَيْتُ .

أما المقدمة الضافية ، فسوف أضمت إليها المقدمة التي كتبتها لمجموع شعره « اغصني يارياح وقصائد أخرى » وقد نَقَّحتها وزدتُ فيها دراسةً فنيةً لأسلوب شِعْر الأستاذ شاكر ، فسوف أنشر ذلك جميعاً - إن أذن الله - في كتاب مستقلّ . وأما تراجم الأعلام ، فلن تشكّل عبئاً كبيراً للقارئ الذي يريد أن يستزيد ، فأكثرها موجود في كتاب الزركلي ، والموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة . أما ثالث هذه الأشياء ، فقد أشرتُ في الهوامش إليها ، وبيّنتُ عنوانَ التَّفُّد الذي وُجِّه إلى كتابات الأستاذ ، ومكانَ نشره وتاريخه ليرجع إليه من يشاء .

\* \* \*

يقول الأستاذ شاكر رحمه الله في المقدمة التي صدرَ بها كتاب الأستاذ سعيد العريان عن « حياة الرافي » :

« ولو يَسَّرَ اللهُ لكل شاعر أو كاتب أو عالم صديقاً وَفِيّاً يَنْقُلُهُ إلى الناس أحاديثَ وأخباراً وأعمالاً - كما يَسَّرَ اللهُ للرافي - لما أضلَّتْ العربية مَجْدَ أدبائها وعلماؤها ، ولما تفلَّتْ من أدبها عِلْمُ أسرار الأساليب وعلمُ وجوه المعاني التي تَعْتَلِجُ في النفوس وتَرْتَكِضُ في القلوب حتى يُؤدِّنَ لها أن تكون أدباً يُصْطَفَى ، وعلماً يُتَوَارَثُ ، وَفِيّاً يَتَبَلَّجُ على سواد الحياة ، فتنسِفُ عن مَكْنُونِها متكشِّفةً بارزة تتأقُّ للنفس حتى تستوى بمعانيها وأسرارها على أسباب ودواعي السرور وما قبل وما بعدُ » .

ويقول في كلامه عن ذكرى الرافي (المقالات : ١٧١) : « إن هذا التراث الذي خلفه الرافي للأدب العربي ، قد جعله الله أمانة بين يدي « سعيد » . فهو يُوَدِّي اليوم هذه الأمانة وافية كاملة لم ينتقص منها شيء - إلا أن يُعْجِزَهُ أن يهتدى إليه أو يقع عليه . وغدا يجد الناس بين أيديهم كلَّ ما كتبه الرافي حاضراً لم يَضِغْ منه شيء منه ، وكذلك يجد من يريد سبيلَه إلى معرفة الرافي من قريب وتقديره والحكم إما له وإما عليه » .

فلتَقَرَّ عَيْنُ أستاذنا الجليل ، فقد يَسَّرَ اللهُ لك - كما يَسَّرَ للرافي - ابناً باراً

وصديقا وَفِيًا وتلميذا مَدِينَا لك بالفضل يَنْقُلُ عِلْمَكَ للناس حتى لا تَضِلَّ العربية  
مَكْنُونٌ عِلْمِكَ ، ولا فاضلَ أدبِكَ ، ولا أسرارَ أساليبِكَ ، وحتى يصبح ما خَلَقْتَ  
أدبا يُضَطِّفِي ، وعِلْمًا يُتَوَارَثُ ، وخُلُقًا يُحْتَدَى ، وهُدًيا لأجيال خَشِيَتْ أَنْتَ عليها  
وعورة المسالك ومتالف الطريق .

وعسى أن أكون قد أديتُ الأمانة - التي اخترتُ أن أحملها بظُلْمِي وجهلي -  
وافية كاملة لم ينقص منها شيء إلا ما أهملتُ لعجزى وتقصيري ، أو لم أقع عليه  
لسهوى وغفلى ، وتشتتى بين البلاد وغربتي . وإخواني من أهل العلم والفضل  
سابق شكرى إذا تكرموا عليّ ودلّوني على ما عجزت عن الاهتداء إليه .

وأدعو الله أن يسر لهذه المقالات علماء شتى ، كُلاً في مجال تخصصه ،  
خاصة في مجال الفكر السياسي ، والدراسات الاجتماعية . وأهيب بالمتخصصين  
في اللغويات Linguistics وعلماء اللغة بالنظر في مقالاته الثلاث عن « علم معاني  
أصوات الحروف » وآرائه الأخرى الموثقة في ثنايا المقالات ، كما في مقال  
« الطريق إلى الحق » ، « المُنْطَلِق » ، « ويشر أيضا » وغيرها ، ثم بعد ذلك وفوق  
ذلك ما بثه في « نَمَطٌ صَعْبٌ وَنَمَطٌ مَخِيفٌ » . كما أحتُ نُقَاد الأدب على إنعام  
النظر في مقالاته الخمس بعنوان « من مذكرات عمر بن أبي ربيعة » ، فهي وإن  
اعتمدت أشخاصها وبعض أحداثها على حقائق تاريخية ، فهي أدبٌ مُنْشِئٌ  
Creative Literature . كما أدعوهم إلى تدبُّر مقالاته الثلاث عن « شاعر الحب  
والفلوات : ذو الرمة » ، فهي نمط فريد من الدراسة ، ليس تاريخاً لحياة الشاعر ،  
وليس تحليلاً لشعره ، وإنما هي تدسُّسٌ في مشاعره وأحاسيسه وآماله وهواجسه ،  
حتى لكأنك مع الشاعر مع مأساة حُبِّه يوماً بيوم . كما أدعوهم أيضا إلى التوقُّف  
أمام مقالاته الثلاث « إلى أين ؟ » ، فهي تجمع بين السيرة الذاتية ، وفن « المقال »  
في أرفع مناحيه . ثم فَلْيَحُطُّوا الرَّحَال لَوْقَّة طويلة أمام مقالاته الثلاث « المتنبي :  
ليتني ما عرفته » وتحليله الرائع الدقيق لعملية « الإبانة والاستبانة » .

وأنا أدعو النقاد الذين أخذوا بحظّ وافر من الثقافة الغربية - وهم كُثْرٌ ،  
والحمد لله - للنظر في كل ذلك حسب أصول النظر الغربي ، لكي يستبين أن

هذا الرجل الفذّ نسيج وُحْدِهِ قد نَفَذَ إلى أسرار نظريات شتى يَخلو لنا أن ننسبها  
إلى علماء الغرب وحدهم ، ونستشهد بكلامهم تأييدا لما نقول ، غير ناظرين إلى  
مرمى ليس أبعد من موضع سجودنا .

\*\*\*



## كلمة واجبة

إذا كانت ظروف النشر قد حالت دون كتابة مقدمة دراسية لهذه المقالات النفيسة ، فلأقتصر هنا على بيان جانب معين في شخصية الأستاذ شاعر ، وعسى أن يكون في ذلك بياناً لما أسلفته في « قصة الكتاب » من كراهية الأستاذ شاعر لإعادة نشر شيء سبق له نشره .

حقق الأستاذ شاعر كُتبا معروفة ، وكتب دراسات عن الأدب العربي المذكورة ، ونظم أشعارا فريدة ، خاصة القوس العذراء ، ولكن فعل ذلك كثيرين غيره ، وإن لم يلحقوا به في هذا المضمار . غير أن أعماله قوبلت بالصمت المُتكرَ زمانا طويلا ، وتوالت الدراسات والرسائل الجامعية عن محققين وكتاب وأدباء وشعراء دون الأستاذ شاعر علما وموهبة ، وما كُتِبَ عنه حتى دخوله في العزلة التي ارتضاها لنفسه سنة ١٩٥٣ لا يعدو أن يكون نقدا لبعض ما كتب أو تقریظا لا يتجاوز أسطرا معدودات ، ولأضرب مثلا واحدا بشعره ، فالشعر أكثر سيورة وقُراء من تفسير الطبرى أو طبقات فحول الشعراء . قلت في مقدمة مجموع شعر الأستاذ شاعر « اغصيفي يارياح وقصائد أخرى » ص : ١٣٥ - ١٣٦ مايلي « والعجب كل العجب أن يُهْمَلَ هذا الشعر حتى الآن . فإن قلت : ربما كان ذلك لأنه كان مُفَرَّقًا في مجلتي المقتطف والرسالة ، فعزَّ تيشُّرُه في أيدي الباحثين . قلت : كذلك كان شعر بعض شعراء مدرسة أبوللو الذي عكف عليه الدكتور محمد مندور رحمه الله ، وهم لا يدانون الأستاذ شاعر في شاعرية أو فكر » . وإذا كان التماسُ هذا الشعر ليتفرَّقه في المجالات أمرا عسيرا حال دون دراسته ، فكيف نفسر موقف الثَّقَاد من « القوس العذراء » ، فهي قصيدة طويلة جدا ظهرت أول مرة في مجلة الكتاب (المجلد ١١ ، عدد فبراير ١٩٥٢) ، وقدم لها الأستاذ عادل الغضبان بكلمة تقریظ قصيرة بعنوان « توطئة » ص : ١٥٤ . وفي عدد مارس ١٩٥٢ من نفس المجلة كتب الأستاذ جمال مرسى بدر كلاما

لا يتعدى صفحة واحدة مزج فيه تقريظا بنقد ، قال ص : ٣٨٠ « وقت طويلا عند ملحمة القوس العذراء للأستاذ الكبير محمود محمد شاكر مأخوذاً بمحاسن هذه الخريدة الفريدة ، مُمتعاً الروح بما حوت من خيال رائع ، ونسيج متين . غير أنى لاحظت فى قليل من أبيات مطلع هذه القصيدة العصماء خَللاً أفقَد نغمها انسجامه » ، ثم أورد ثلاثة أبيات هائية ( فقضاها ، رآها ، سَوَّأها ) ورأى أن زيادة تفعيلة فيها أخلت بوزن مجزوء الرمل . ثم نشر الأستاذ محمد سعيد المسلم فى نفس المجلد (المجلد ١٢ ، عدد فبراير ١٩٥٣ ، ص : ٢٩٣ - ٢٩٥) نقداً تابع فيه الأستاذ جمال مرسى ، حيث زاد أربعة أبيات من الهائية ، وهى البيت السادس ، وفيه زيادة كلمة ، والبيت التاسع وفيه زيادة كلمة ، والبيتان السابع عشر والثانى والعشرون ، وكلاهما يزيد تفعيلة . ثم أورد الأبيات الثلاثة التالية لذلك وهى ( فداها ، وشاها ، هواها ) وعلق عليها قائلاً : « فذوقى يقف إزاء هذه الأبيات الثلاثة المُدَوَّرَة حائراً ! لا يدرى ! كيف يرجعها إلى أى بحر من بحور علم العروض ؟؟ أتراها بحوراً جديدة اخترعها الشاعر ؟ » (ص : ٢٩٤) . وأورد بيتاً من اللامية فيه خلل .

ثم نُشِرَت القصيدة فى كتاب مستقل من القطع الصغير سنة ١٩٦٤ ، فكتب عنها أستاذنا المرحوم الدكتور زكى نجيب محمود ( مجلة الكتاب العربى ، العدد : ١٥ ، سنة ١٩٦٥ ، ص : ١١ - ١٥ ) مقالا هو بالمدح والتقريظ أشبه منه بالدرس والتحليل .

فكما ترى لم يكتب شىء جاد عن هذه القصيدة الفريدة طوال ثلاثة عشر عاماً من تاريخ نشرها . ثم مضت سبعة عشر عاماً أُخِر حتى كتب عنها الدكتور إحسان عباس - أطال الله بقاءه - والدكتور محمد مصطفى هُدَّارة ، رحمه الله ، دراستين قيمتين فى الكتاب الذى أهديناه للأستاذ شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، وطُبع سنة ١٩٨٢ . ولا أذرى إذا كان الأستاذان الجليلان سيكتبان عن هذه القصيدة لولا الكتاب ؟ لا أدرى ! وقد حاول الدكتور إحسان عباس أن يُعلِّل سبب إهمال الدارسين لها بما فيهم هو نفسه ، وهو تعليل لم أجد فيها مَقْنَعاً (ص ١٣ - ١٤) .

فهذى ثلاثون سنة من الإهمال والتغاضى والجحود والنكران لإنتاج علامة  
فدّ، لم يَجِدْ الزمن بَضْرِيَّةَ له منذ عبد القادر البغدادي .

وليت الأمر من إهمال مُسْتَشْعَقٍ اقتصر على عِلْمِ الأستاذ شاكر وجهوده في  
ميادين التحقيق والأدب والشعر ، بل تعداه إلى ماهو أشد وأنكى وأبشع ، تعداه إلى  
كفاحه الطويل وجهاده العنيد فى شمم وإباء وعزم ومضاء فى سبيل أمته العربية :  
أرضها ، ووحدتها ، وحررتها ، وقوميتها ، ودينها ولغتها . فهو كما قال عن نفسه  
بحق - ونقلت ذلك فى صدر هذا التقديم - إنه جندى من جنود العربية ، نصب  
نفسه للدفاع عن أمته .

دافع عن مصر دفاعا مجيدا وهاجم ساستها هجوما عنيفا ، واتهمهم بأنهم  
صنائع بريطانيا ، شَنَّ عليهم وعليها غارة شَعْوَاءَ ، وتمسك بشعار فتى مصر  
مصطفى كامل رحمه الله « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » . يقول الأستاذ شاكر  
مخاطبا من اختاروا حلَّ القضية المصرية عن طريق التفاوض مع بريطانيا « وليعلم  
هؤلاء المفاوضون أنهم لا يملكون التصرف فى رقاب أهل مصر الحاضرين ،  
ولا فى رقاب الأجيال الآتية ، وأنهم وإن كانوا مصريين كراما ، إلا أن مصر خالدة  
على وجه الدهر ، وهى أكرم على أبنائها ورجالها الآتين ... ونحن الشباب  
الناشئ نعرف أن الحياة لا معنى لها إذا خلت من الشرف والكرامة ، وأن الشرف  
والكرامة عندئذ هى الموت . فَلَنَمُتْ كراما صادقين ، فذلك خير من أن نعيش  
أذلاء مُسْتَعْبِدِينَ » (١) .

ونافع عن قضية وادى النيل ، فهو مصرى سودانى ، وإن شئت سودانى  
مصرى ، يقول واصفا العلاقة بين شطرى الوادى « فالحقيقة التى ينبغى أن  
لا نتمازى فيها بالعصبية أو الكبرياء هى أن السودان سيد هذا الوادى الذى يمدده  
النيل بمائه . وإذن فالسودان هو أحق الشقيقين باسم الدولة ، فإما أن يسمى وادى

(١) « اسلمى يامصر » ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٩٤ ، سنة ١٩٤٦ ، ص ١١٥٩ ، والمقالات

النيل كله باسم الدولة المصرية برضى أهل السودان ، أو أن يسمى هذا الوادى باسم الدولة السودانية برضى أهل مصر» (١) . لذلك انتقدت سياسة مصر والسودان الذين قبلوا أن يفصلوا بين قضية مصر وقضية السودان ، فقد كان من سياسة بريطانيا قديما أن تمزق وحدة شعب وادى النيل ، فأوجدت رجالا يتطلعون إلى مناصب الحكم كما يتطلع الظمآن إلى الماء . وكان من سياسة بريطانيا أن تلابس وتسايير حتى يصبح السودان شيئا قائما بذاته وقضية منفصلة عن قضية مصر . « وكان من سياستها أن تُغرى شهوات قوم من أهل السودان بالحكم أو السلطان ، ففعلت ، وانقسمت فئة من أبنائه مُضَلَّلِينَ بوعود كاذبة لم تتحقق . وخرجت عن بقية الشعب مؤرَّزةً بالمال فَفَجَّرَتْ ومَرَدَّتْ ، وبريطانيا من ورائهم تنفخ في نيرانهم حتى يأتى اليوم الذى يجعلونهم فيه حزبا على بلادهم وهم يظنون أنهم يفعلون لخيرها وفلاحها» (٢) . لذلك دعا شعب مصر والسودان إلى تأييد الوفد المصرى السودانى الذى سيغرض القضية المصرية السودانية على مجلس الأمن ، وإن لم تجتمع لأعضاء هذا الوفد الصفات التى ينبغى أن تجتمع لوفد مثله ، « لأن الشعب المصرى السودانى شعب كريم ذكىّ الفؤاد ، تجتمع قلوبُه عند المحنة يدا واحدة على عدوّه الباغى إليه الغوائل» (٣) . ومن ثم فقد وجّه نداء إلى السيد المهدي أن يضع يده فى يد أخيه السيد الميرغنى ويخرجا على بريطانيا مرة واحدة ، ويعلنان أن مصر والسودان أمة واحدة ، وأن بريطانيا كاذبة فيما ادّعت علينا وعليهم ، وأن لا حياة لأحد الشطرين إذا اقتطع عن صاحبه (٤) .

(١) « مصر هي السودان » ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٠٨ ، سنة ١٩٤٧ ، ص ١٠٥ ، المقالات

١ : ٣٥٧ .

(٢) « قضى الأمر » ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٢٦ ، سنة ١٩٤٧ ، ص : ٦٠٨ ، المقالات ١ :

٤٠١ - ٤٠٢ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) « شهر النصر » ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٣٤ ، سنة ١٩٤٧ ، ص : ٨٣٦ ، المقالات ١ : ٤٢٥ .

ووادى النيل - مصر والسودان - هو البلد الذى وُلِدَ فيه الأستاذ شاکر ، وعاش فى شطره الثانى والده الشيخُ محمد شاکر أربع سنوات تولى فيها منصب قاضى القضاة ، ولكن وادى النيل ماهو إلا جزء لا يتجزأ من الأمة العربية . والأستاذ شاکر مؤمن بهذه الأمة وبوحدتها واستقلالها « لا يحتلُّ عراقها جندىً واحد ، ولا تخضع جزيرتها لسُلطان ملوك البترول <sup>(١)</sup> ، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطانٌ بريطانى أو غير بريطانى . ولا تقع شامها ولُبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يعبث فى أرجها مغربها فرنسى خبيثُ القول والفعل مجنونُ الإرادة . هذا كلُّه شىء لا يملك كائناً من كان أن يُجْجِرنا على خلافه أو على الرضى به » <sup>(٢)</sup> .

« وينبغى أن لا نرضى منذ اليوم أن نُفَرِّق قضيةَ العرب ونجعلها قضايا ممزقة : هذه قضية مصر والسودان ، وتلك قضية فلسطين ، والأخرى قضية طرابلس وبرقة ، والرابعة قضية تونس ، والخامسة قضية الجزائر ، والسادسة قضية مراكش ، والسابعة قضية العراق . بل إن هذه القضايا كلها قضية واحدة لا تنفك منها واحدة عن أختها أبداً » <sup>(٣)</sup> .

والأمة العربية أيضا جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية . فأهمه ما تتعرض له البلاد الإسلامية من البلاء ، يقول عن باكستان « انظروا فهذه دولة باكستان ، قد اجتمعت فيها كلمة المسلمين على أن يكونوا أمة عدتها مئة مليون ، فإذا عُجِدَ البَدُّ (بوذا) قد دمروا عليهم من كل مكان يذبحونهم ويقتلونهم ويفتكون بالنساء

(١) لا يعنى الأستاذ شاکر حكام البلاد ، فيما أخبرنى ، وإنما هؤلاء الأجانب الذين يأخذون بترول بلادنا ليدبروا بها مصانعهم لتغزو منتوجاتها أسواقنا . ولكن انظر ١ : ٤١٦ .

(٢) « شعب واحد وقضية واحدة » ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٣٠ ، سنة ١٩٤٧ ، ص : ٧٢٣ ، والمقالات ١ : ٤١٢ ، وانظر أيضا العدد ٧٣٢ من الرسالة ، سنة ١٩٤٧ ، ص ٧٧٧ ، والمقالات ١ : ٤١٥ ، ومواضع أخرى كثيرة .

(٣) المقالات ١ : ٤١٣ .

والأطفال ... وانظروا ، فهذه أندونيسيا تجمع هيئة الأمم المتحدة على تركها  
فريسة الطغاة البغاة من شِؤذمة الخلق الذين يسمون بالهولنديين » (١) .

أما قضية فلسطين ، فكانت شغله الشاغل ، وكان يعتبرها فِئدة أكباد  
العرب (٢) ويسميتها « أم المشاكل العربية » (٣) .

وكان يرقب مايجرى منذ وعد بلفور فيرى أنزال الأمم يطأون ديارها بعد  
الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذوا يسيلون عليها منذ ذلك اليوم لإنشاء دولة  
يهودية في ربوعها بعد طرد أهلها العرب . ويرى أمريكا تعين اليهود بالمال واللسان  
والقلب ، ويرى بريطانيا تسهل هجرة آلاف اليهود سرا إلى ربوع فلسطين (٤) ،  
وتصبر على إذلال اليهود لها صبرا لم يعرفه تاريخ دولة عظمى . ويرى الدول  
الكبرى تلوذ بالصمت وتغمض عيونها مما ترى ، فلا تتحرك دفاعا عن الحرية أو  
الهزيمة التي تراد بإنسانية شعب فلسطين العربي . كان الأستاذ شاعر يرى كل  
هذا ، والعالم العربي الإسلامي ساكن قار ، لا يملك إلا الإستنكار . وكان الأستاذ  
شاعر يرى إلى أين ستصير الأمور ببصره النافذ وبصيرته المتوقدة ، فكتب مقالا

---

(١) « نحن العرب » ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٢٠ ، سنة ١٩٤٧ ، والمقالات ١ : ٣٨٤ .

(٢) « ليك يا فلسطين » ، المقالات ١ : ٤٨١ .

(٣) « ويحكموا هُتوا » ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٥٧ ، سنة ١٩٤٨ ، والمقالات ١ : ٤٩٨ .

(٤) من أوفى الدراسات المدعمة بالوثائق عن دور بريطانيا في تهويد فلسطين هي دراسة الدكتور  
على أبو الحسن بعنوان : دور بريطانيا في تهويد فلسطين : أقدر دور في التاريخ . نشر دار الوحدة العربية  
بيروت ١٩٧٧ . ويتولَّى السير آرثر وشوب Sir Arther Wauchope أصبحت هجرة اليهود « غزوا »  
ففى سنة ١٩٣٢ سمح بهجرة ٩٥٥٣ يهوديا ، وسنة ١٩٣٣ : ٣٠٣٢٧ يهوديا ، وفى سنة ١٩٣٤ :  
٤٢٣٥٩ يهوديا ، وفى سنة ١٩٣٥ : ٦١٨٥٤ يهوديا ، أى ١٤٤٩٣ يهوديا فى خلال أربع  
سنوات . انظر فضلا بعنوان The Dark Path of Repression فى كتاب Nevill Barbour, Nisi  
Dominus: A survey of the Palestine Controversy (London : George G. Harrap and  
Company limited, 1948), pp. 188-93

ومن أفضل الكتب الأجنبية عن مأساة فلسطين ودور بريطانيا الخنزى كتاب ضخيم بقلم الكاتب  
البريطانى المنصف ج جفرز ، ترجمه فى أربعة أجزاء الأستاذ أحمد خليل الحاج ، ونشرته دائرة الثقافة  
والإعلام حكومة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠ .

سنة ١٩٤٦ - أي قبل قرار التقسيم بعام - بعنوان « من وراء حجاب » . جَهْدَه  
التعب ليلة فَتَغَشَّتْهُ نَعْسَةٌ ، وَسَبَّحَ فِي غَمْرَةِ رُؤْيَا ، وَإِذَا بِهِ يُفْضَى فِي غَمْرَةِ هَذِهِ  
الرُّؤْيَا إِلَى مَقْصُورَةٍ فِي مَسْجِدٍ ، هِيَ مَقْصُورَةُ أَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ ، كَانَ الشَّيْخُ نَائِمًا  
فَهَابَ الْأَسَازَ شَاكِرًا أَنْ يُوقِظَهُ ، وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأَى أَوْرَاقًا كَتَبَهَا تَبَيَّنَتْ لِتَارِيخِهِ  
المعروف باسم « تاريخ الأمم والملوك » . فَتَنَاولَهَا الْأَسَازُ شَاكِرًا فَإِذَا بِهَا تَبَدُّأً مِنْ  
سنة ١٣٦٥ هجرية (الموافق ١٩٤٦ ميلادية) . وهذه هي أول التتمة :

[ ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمئة بعد الألف ] ، ١٩٤٦ .

ذكر ما كان فيها من الأحداث : فمن ذلك إجماع المجلسين الأمريكيين  
على فتح فلسطين لشذاذ المهاجرين من اليهود . وكتب إلى الشدّي ، وهو مقيم  
هناك بأمريكا ، أن موقف الرئيس ترومان الذي ادّعه من إثارة العقل على الهوى  
في هذا الأمر ، إنما كان حيلة مخبوءة أراد أن يغرر بالبلاد العربية والإسلامية ، ثم  
يفاجئها بحقيقته . وهو في ذلك إنما يعمل للظفر بمعونة اليهود في الانتخاب الآتي  
لرئاسة . ولما كان هواه هو الذي يُصَرِّفُهُ ، فقد علم أنه طامع في الرئاسة حريص  
عليها ، وأن اليهود في أمريكا هم أهل المال ، أي أهل السلطان ، أي هم الأنصار  
الذين إذا خذلوه ضاع . قال الشدّي : وقد سمعت بعض أهل العقل والرأى في  
أمريكا يستنكرون ما كان منه ومن قرار مجلسيه ، وَيَزَوُّونَ أن الديمقراطية اليوم قد  
صارت كلمة يراد بها التدليس على عقول البشر ليلبغ بها القويّ مآربه من الضعيف  
المغرور بهذه الرقية الساحرة التي يُدَنِّدُونَ بها في الآذان . وقد أخبرني الثقة أن  
الرئيس ترومان قد أوحى إلى بعض بطانة السوء أن العرب والمسلمين قوم أهل  
غفلة ، وأن دينهم يأمرهم بالصبر ويُلجِّح فيه ، فهم لا يلبثون أن يستكينوا للأمر إذا  
وقع ، ولا يجدون في أنفسهم القدرة على تغييره أو الانتقاص منه ، وأن الزمن إذا  
تطاول عليهم في شيء أَلْفَوْهُ ولم ينكروه ، فإذا دام دخول اليهود فلسطين وبقي  
الأمر مُسْتَدًا إلى الدولة المنتدبة ( وهي بريطانيا ) ، وانفسح لحمقى اليهود مجال  
الدعوى والعمل والتبجح ، وألجَّ على العرب دائما إجماع الدنيا كلها (أي  
الديمقراطية) بأن الدولة اليهودية في فلسطين حقيقة ينبغي أن تكون وأن تتم كما

أراد الله ، فيومئذ يُلقى العرب السِّلْم ولا يزالون مختلفين حتى ينشأ ناشئهم على إلف شيء قد صبر عليه آباؤه ، فلا يكون لأحد منهم أدنى همة في تغيير ما أراد الله أن يكون ، مما صبر عليه آباؤهم وأسلافهم - وهم عند العرب والمسلمين - أهل القدوة » .

[ ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمئة بعد الألف ] ، ١٩٤٧ .

ذكر ما كان فيها من الأحداث : فمن ذلك ما كان من اجتماع ملوك العرب وأمرائهم ووزرائهم ... وقَرَّ قرارهم على أن يعلنوا للناس جميعا وينذرونهم بما رأوا وأجمعوا عليه ... الثاني : أن فلسطين ستجاهد ، ومن ورائها بلاد العرب والمسلمين تظاهرها بالمال والولد . الثالث : أن الفتك والغدر والاعتقال ليس من شيمة العرب ولا من دين المسلمين ، وأن حوادث الاعتقال الشنيعة المنكرة التي اقترفها اليهود ينبغي أن تقابل بالصدق والصراحة ، لا بالغيلة والغدر » .

[ ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمئة بعد الألف ] ، ١٩٤٩ م .

ذكر ما كان فيها من الأحداث : اشتعلت نيران الحروب في الشرق كله ، واجتمع رؤساء الدول العربية والإسلامية في مكة المكرمة ووجدوا قيادة الجيوش العربية . ولكن لم يلبث سفير بريطانيا في مصر وسفير أمريكا أن أرسلوا برقية إلى المجتمعين في مكة يطلبون وقْف الحركات الحربية التي سموها (ثورة) ، ورغَّبوا إلى ملوك العرب ووزرائهم أن يتمهلوا حتى يصدر تصريح مشترك من الدولتين الكبيرتين ، على شريطة أن تمتنع البلاد العربية من متابعة السياسة الروسية التي تتظاهر بمؤازرة العرب والمسلمين . وبعد أيام صدر هذا التصريح ، وهو ينص على أن للعرب ما أرادوا من وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وعلى العرب أن يتولوا بأنفسهم مفاوضة يهود فلسطين على السياسة التي يريدونها ، وأن بريطانيا وأمريكا لن تتدخلوا في الخلاف الناشب بين الفريقين ، وأن الدولتين الكبيرتين ستمنعان كل مساعدة تُرسل من بلادهما إلى فلسطين من مال أو سلاح ... » .

[ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمئة بعد الألف ] ، ١٩٥٥ م .

ذكر ما كان فيها من الأحداث : كثرت حوادث الاعتقال والفتك في كثير



من البلاد العربية والأجنبية ، وقتل من العرب وأنصار العرب من سائر الأمم خلق كثير ، واستفحل الشر استفحالا عظيما ، حتى ثارت الصحف الإنجليزية والأمريكية وطالبت حكوماتها بإعلان قرار واحد بأن الرأي العام والسياسة العامة في سبيل السلام تقتضى أن تُبذَل النصر الكاملة للعرب ولل قضية العربية ، وأن تتعاون الدول على رد العُدوان الصهيوني الذى صار طغيانا شديدا فى جميع بلاد الأرض ، وأنه ينبغى على الدول جميعا أن تضحى فى سبيل ذلك بكثير من المصالح المالية ، وهى قيود اليهودية التى جعلت كل الأمم ترسف فى أغلالها .

هذا الكلام - على طوله - مختصر من هذا المقال الفريد الذى اخترق به الأستاذ شاكر مُحجَب الغيب ، وجعله حقيقة لامراء فيها يجعله أحداثا ماضية سلفت أتم بها شيخ المؤرخين تاريخه . ولأذِكْرُ القارىء مرة أخرى أن هذا المقال كتبه الأستاذ شاكر سنة ١٩٤٦ .

فكلام الأستاذ شاكر عن موقف الرئيس ترومان وأهمية أصوات اليهود فى انتخابات الرئاسة صحيح لا ريب فيه ، وتسهيل أمريكا مع بريطانيا هجرة يهود أمريكا كلام لا باطل فيه . وقد تصدَّى الرئيس ترومان لمحاولة إنجلترا - بعد إعلان قرار انتهاء حماية بريطانيا على فلسطين - بوضع قيود على هجرة اليهود (وباللسخرية ) . وأنا أُحيل القارىء هنا إلى كتاب فرانسيس وليمز<sup>(١)</sup> الذى أورد فيه الرسائل المتبادلة من الرئيس ترومان ورئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل (مع أن تشرشل كان صهيونيا حتى النخاع) ليرى مدى دفاع ترومان عن هجرة يهود العالم لا أمريكا فقط إلى فلسطين . وبالرغم من أن وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك كانت دوما تنصح الرئيس ترومان بعدم اتخاذ موقف متشدد من هذا الأمر ، إلا أنه جعل نصح مستشاريه ذُبرُ أذنه . فقد كانت أصوات اليهود فى الانتخابات تستحوذ على نفسه وفكره وفؤاده . فأكد ترومان لُوَيْزمان Weizmann خلال زيارته لأمريكا أنه سيبدل ما فى وسعه لإنشاء الدولة اليهودية والاعتراف بها ، وأن

---

(1) Francis Wiliams. A Pime Minister Remember : The War and Post - War Memoirs of the Rt. Hon. Earl Attlee (London : Heinemann, 1961), pp. 181-201.

« النجف » - تكون جزء من الدولة اليهودية<sup>(١)</sup>. وفي الرابع من أكتوبر سنة ١٩٤٦ أيد الرئيس ترومان في إعلان يوم كيبيور ضمَّ النجف إلى الدولة اليهودية (لاحظ أن الدولة اليهودية لم تكن قد تكونت بعد، وحين صدر قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ لم يجعل هذا القرار النجف جزءاً من الدولة اليهودية) وإنشاء ثلاث عشرة مستعمرة زراعية في النجف<sup>(٢)</sup>. وفي خلال أسبوعين من هذا الإعلان ضمت القوات اليهودية « النجف » إليها وبلغ من استهانة ترومان بالعرب وتملقه ليهود أمريكا أنه أذاع هذا الإعلان في يوم من أيام اليهود الدينية وهو يوم كيبيور، ولم يكتف بوعده أن تكون صحراء النجف جزءاً من الدولة اليهودية، بل تجاسر في جرأة وقحة فرسم خريطة الدولة اليهودية المرتقبة لتضم تسع مناطق من مناطق فلسطين الست عشرة: بيسان (٧٠٪ من سكانها عرب)، عكا (٩٦٪ من سكانها عرب)، طبرية (٦٧٪ من سكانها عرب)، صفد (٨٧٪ من سكانها عرب)، حيفا (٥٣٪ من سكانها عرب)، الناصرة (٨٤٪ من سكانها عرب)، يافا (٢٩٪ من سكانها عرب)، غزة (٩٨٪ من سكانها عرب)، بئر سبع (٩٩٪ من سكانها عرب). بالإضافة إلى ذلك من الممكن أن تضم الدولة اليهودية أيضا منطقتين أخريين: طولكرم (٨٣٪ من سكانها عرب). ورام الله (٧٨٪ من سكانها عرب)، علاوة على جزء من مقاطعة هبرون (٩٦٪ من سكانها عرب). ومعنى ذلك أن لا يبقى للفلسطينيين سوى ثلاث مناطق. ومعناه أيضا أن ٧٥٪ من مساحة الأراضي الفلسطينية يسيطر عليها اليهود في الوقت الذي كانوا لا يملكون سوى ٧٪ من الأرض. وفي ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ أرسل إلياهو إيثال ممثل الوكالة اليهودية في الولايات المتحدة بصفته ممثلاً « للدولة اليهودية » (لاحظ هنا أيضا أن الدولة اليهودية لم تُخلَق رسمياً بعد) رسالةً إلى البيت الأبيض يطالبه فيها بالاعتراف بالدولة اليهودية، وما هي إلا ساعات، وبالضبط في الساعة الخامسة

---

(1) M.W. Weisgal and L. Carmichael, eds., Chairman Weizmann: A Biography by Several Hands (London: Weidenfeld and Nicholson, 1962). PP. 303 - 308.

(2) Ibid, pp. 301 - 303

والدقيقة السادسة عشرة من شهر مايو سنة ١٩٤٨ أعلنت الولايات المتحدة على لسان رئيسها ترومان الاعتراف بالدولة اليهودية<sup>(١)</sup>. ولا يغيب عن فطنة القارئ أن عام ١٩٤٨ كان عام انتخابات الرئاسة الأمريكية .

ثم حمل الأستاذ شاكر على العرب وأوروبا وأمريكا بأسلوبه الساخر المعهود . أما العرب فهم كما قال قُويط بن أنَيْف :

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدِي

لِيسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

فقد أجمع ملوكهم وأمرؤهم ووزاؤهم أن « الفتك والغدر والاعتقال ليس من شيمة العرب ولا من دين المسلمين ، وأن حوادث الاغتيال الشنيعة المنكرة التي اقترفها اليهود ينبغي أن تُقَابَل بالصدق والصراحة » . نعم يجب أن تُقَابَل بصدق المستضعفين وصراحة الأذلاء الغافلين . فالعرب لن يغتالوا اليهود في مدنهم وقراهم ولن يفعلوا فعل اليهود في دير ياسين<sup>(\*)</sup> في ١٠ أبريل ١٩٤٨ حيث قضت عصاة الأرجون في مذبحه بشعة على كل سكان القرية البالغ عددهم ٤٠٠ شخصا لا يحملون سلاحا<sup>(٢)</sup> . ولن يتدنى العرب ويرتكبوا ما ارتكبه اليهود في قرية كولونيا يوم ١٢ إبريل ١٩٤٨ ، ففي خلال نصف ساعة فقط حسب رواية شاهد عيان هرب أكثر أهل القرية تحت نيران عصاة بالماخ Palmach فنجا منهم من نجا وقتل من لم تسعفه قوته أو سنّه على الفرار<sup>(٣)</sup> . ولن يهاجموا غيلة المدن

(1) Walid Khalidi. From Haven to Conquest ( Washington: The Institute for Palestine Studies, 1987), p. ixixii

وهذا كتاب نفيس ، ولا أدري إذا كان قد ترجم إلى العربية أم لا ، فإذا لم يكن فليترجم .  
(\*) المصادر عن مذبحه دير ياسين وغيرها مما ذكرته كثيرة ، ولكنني هنا أستشهد بما كتبه شهود

العيان .

(2) Jacaues de Reynier, A Jerusalem un drapeau Flottait sur la ligne defeu (Neuchatel : Editions de la Baconniere, 1950), pp. 69 - 79.

(3) Harry Levin, Jerusalem Embattled: A Diary of the City Under Siege, Mach 25th, 1948 to July 18th, 1948 (London : Victor GoLLancz Ltd., 1950)pp. 64-67.

التي ينسحب منها البريطانيون نظرا لانتهاؤ مدة الانتداب ، كما فعل اليهود وهاجموا يافا واستولوا عليها يوم ٢١ إبريل ١٩٤٨<sup>(١)</sup> ونهبوا كل ما وقعت عليه أعينهم فى المحال والمنازل<sup>(٢)</sup> .

ثم يسخر الأستاذ شاكر من ضعف العرب وتشتتهم وعدم يقظتهم لما يراد بهم ، فهل صحيح أن رؤساء الدول العربية « وخذوا قيادة الجيوش العربية » ، وبذلك شكّلوا خطرا محققا تُخشى مَغْبِئَتَهُ على يهود فلسطين ، جعل بريطانيا وأمريكا تسارعان وترجوان العرب وقف « الحركات الحربية » حتى يتدبرا الأمر وسوف يكون فى ذلك مَرَضَةٌ للعرب ؟ وبالفعل بعد أيام أصدرتا تصريحاً أعلنتا فيه « إن للعرب ما أرادوا من وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ... وأن الدولتين الكبيرتين ستمنعان كل مساعدة ترسل من بلادهما إلى فلسطين من مال أو سلاح » . فجيّش التحرير العربى الذى أرسلته الجامعة العربية كان لا يضارع جيش الصهيونيين عدداً أو عُذَّةً وسلاحاً . ثم أين كان ملوك العرب وأمرأؤهم عندما كان اليهود يقومون بتنظيم قواتهم المحاربة . ومن يقرأ التقرير الذى أعدته لجنة تقضى الحقائق الإنجليزية الأمريكية<sup>(٣)</sup> The Anglo-American Committee of Inquiry سنة ١٩٤٦ يرى مدى القوة العسكرية اليهودية ، يذكر التقرير أن التنظيم العسكرى المعروف بالهجاناه Hagana كان يتكون من :

- ١ - أربعين ألف مستوطن يهودى .
- ٢ - جيش مدرب ذى كفاءة عالية فى الحركة السريعة قوامه ستة عشر ألف جندى .
- ٣ - قوة حرس مستديمة وهى البالماخ Palmach قوامها ألفا حارس للمحافظة

(1) Roland Dare Wilson, Cordon and Search : With 6th Airborn Division in Palestine (Aldershot: Gale and Polden Limited, 1949), pp. 191-199.

(2) Jon Kimche, Seven Fallen Pillars : The Middle East 1915 - 1950 (London: Secker and Warburg, 1950), pp. 217-218.

(3) see the chapter entitled "The Zionist Military Organization 1946 quoted from the Report of the Anglo-American Committee of Enquiry : From Haven to Conquest, PP. 595 - 600

على السلام وستة آلاف مدربين تدريبا عسكريا عاليا . ولكن هذا التقرير - كما لاحظ الأستاذ وليد الخالدي - أهمل جزء هاما من تنظيم الهجاناه وهو شرطة المستعمرات اليهودية Jewish Settlement Police ، وقوامها ١٥٤١٠ شرطيا . وكانت القوات البريطانية تقوم بتدريبهم ، وكلما تم تدريب مجموعة منهم ضمتها الهجاناه إلى صفوفها ، واستبدلت بهم آخرين ، فتقوم القوات البريطانية بتدريب هذه المجموعة الجديدة دون أن تنتبه لما يحيكه تنظيم الهجاناه (١) .

ثم يسخر الأستاذ شاكر أيضا من غفلة ملوك العرب واحتسابهم أن الدول الأوروبية وأمريكا وصحافتها متعاطفة جميعا مع القضية العربية وأن هناك خيرا يرجى منها جميعا إذا دخلوا معهم في حوار ومفاوضات ، خاصة أن الصحف الإنجليزية والأمريكية ثارت لأنه « قُتِل من العرب وأنصار العرب من سائر الأمم خلق كثير » وطالبت حكومتيهما « رد العدوان الصهيوني الذي طغى طغيانا شديدا في جميع بلاد الأرض ، وأنه ينبغي أن على الدول جميعا أن تضحى في سبيل ذلك بكثير من المصالح المالية ، وهي قيود اليهودية التي جعلت كل الأمم ترسف في أغلالها » . وبطبيعة الحال لم تُثر الصحف البريطانية ولا الأمريكية بسبب اغتيال أنصار العرب ، ولعل خير مثال على ذلك هو اغتيال الكونت برنادوت Count Folke Bernadotte ممثل الأمم المتحدة . فقد كان برنادوت يرى أن خطة التقسيم فيها إجحاف للجانب العربي واقترح إدخال بعض التعديلات ، فحشدت القوى الصهيونية كل قواها الإعلامية والسياسية في أوروبا وأمريكا لشن هجوم لا رحمه فيه ولا هوادة . وفي زيارة له لفلسطين موفدا من قبل الأمم المتحدة أعد الصهيونيون لسيارته وسيارة الوفد المرافق له كميناً (١٧ سبتمبر ١٩٤٨) وأطلقوا عليه الرصاص فأردوه قتيلا ، ويعلق صديقه الجنرال آجي لئدستروم الذي كان يرافقه في مهمته على هذا الحادث بقوله : « أنا على يقين أن الاغتيال كان متعمدا ، وحُطِّط له بعناية ، فالمكان الذي أوقفوا فيه سيارتنا اختير بعد تدبر ،

(1) Ibid, p. Lxxviii

والجنود الذين اندفعوا نحو السيارة ، لم يكونوا يعرفون أى سيارة يستقلها فقط ، بل كانوا أيضا يعرفون أين كان يجلس وأى مقعد كان يحتل » (١) .  
وبطبيعة الحال لا تستطيع دول العالم « أن تضحى في سبيل ذلك (أى ردّ العُدوان الصهيونى) بكثير من المصالح المالية » . فاليهودية العالمية قد سيطرت على أكثر المؤسسات المالية فى الدول التى تعيش فيها وتنتمى إليها .  
وكما يرى القارىء من هذا العرض الموجز - الوافى إن شاء الله - أن الأستاذ شاكر قد تنبأ سنة ١٩٤٦ بما سوف يحدث خلال السنوات التى تلت هذه السنة فكأنما « كُشِفَ عنه الحجاب » . فتنبّه الرجل وفطنته ، تتبّعه اليقظ لما يرى من أحداث واستماتته فى الدفاع عن أمته جعله يعلق الأسباب بالنتائج ، ويرى ماهو آت لأنه أحدّ إليه البصر منذ بدأ ناشئا لا يكاد يُرى ، فما زاغ البصر وما كذب الفؤاد ما رأى .

وحتى لا تخرج هذه الكلمة الواجبة عن القصد فسوف أكتفى ببيان هذا القدر من جهاد الأستاذ شاكر فى سبيل قضية مصر وقضية مصر والسودان ، وقضايا الأمة العربية خاصة فلسطين ، وقضايا العالم الإسلامى ، ولن يفوت القارىء بأيسر نظر فى هذه المقالات الجهاد الذى خاضه الأستاذ شاكر فى سبيل الحرية ، والحضارة العربية والإسلامية ، وفى هجومه على الحضارة الغربية ، والدول الأوربية وأمريكا والأمم المتحدة ، لا يملّ ولا ييأس رغم التدهور الذى كان يزداد يوما بعد يوم . كان عظيم الثقة بالأمة العربية وحضارتها ، وأنها لا جرم منبعثة مرة أخرى لترث سائد الحضارات ، وتسود العالم كما سادته من قبل .

ولما كانت مصر أقوى الدول العربية وأكثرها تقدّما ، وكانت هى البلد الذى يعيش فيه الأستاذ شاكر ، فقد أرّقه ما آل إليه أمرها من الاضمحلال والفساد وما اعترأها من الضعف والوهن ، وما ترزح تحته من أعباء الاحتلال ، وترسف فى القيود والأغلال التى ربضت بها إلى الأرض فما تطيق حراكا . فصلاح مصر

---

(1) General Aage Lundstrom, the Death of Count Folke Bernadotte. Quoted in

Haven to Conquest, op. cit., pp. 789 - 794.

وقوتها صلاح للأمة العربية وشدُّ لأزرها . أيقن الأستاذ شاكر أن هذا الإصلاح فى كافة مجالاته « موقوف على شىء واحد ، على ظهور الرجل الذى ينبعث من زحام الشعب المسكين الفقير المظلوم ، يحمل فى رجولته السُّراج الوهُاج المشتعل من كل نواحيه ، الرجل المصوب فى أجداده من الثورة والعنف والإحساس بآلام الأمة كلها ، وآلام الأجيال الصارخة من وراء البنيان الحى المتحرك على هذه الأرض الذى يسمى فى اللغة : الإنسان » (١) . كتب هذا الكلام فى أعقاب ثلاث مقالات كتبها الدكتور هيكل والدكتور طه حسين والأستاذ أحمد حسن الزيات ، وبلغ من ازدياد الدكتور طه لحالة الفساد التى انتشرت فى مصر أن اقترح ساخرا إنشاء « مدرسة المروءة » حتى يتعلم جيل ذلك الزمان غير ما نشأ عليه من سفاسيف الأخلاق ، وتحطمت عنده مكارم الإنسانية النبيلة ، وامتاز عظماءه وصغاره باعتبار الأخلاق ضربا من التجاره يُلبسها الغش والخلاب والمواربة . ولكن الأستاذ محمود شاكر رأى أن التهكم فى هذا الزمن المائج بصنوف العذاب والآلام والبلاء لا يجدى فى الإصلاح شيئا ، وإنما الإصلاح موقوف على خروج رجل فرد من عُرض الشعب عانى ما يعانىه الناس آنذاك . ثم كتب الأستاذ محمود المنجورى مقالا (٢) فى العام (سنة ١٩٤٠) الذى نُشرت فيه المقالات السالفة الذكر تحدث فيه عن عهد الاحتلال وما صنعت سياسته فى أخلاق مصر وتعليمها ، وكيف حطم بجوره وعُدوانه كل الصلات القوية التى يعتمد عليها ترابط الكيان الاجتماعى ، فتمزقت الجهود المصرية فى الإصلاح ، واستبدت الشهوات الجارفة بأخلاق الطبقات على اختلاف مراتبها ، ففشل الاجتماع المصرى فى إرادته ، وقام على أساس فاسد من الأخلاق حتى صار أكثر ما يرمى إليه كل شخص غرضا فرديا لا سَهْم له فى البناء الاجتماعى للأمة ، ومن هنا استبدَّ من أنس فى نفسه قوَّة ، فصار كل فرد بأنانيته

(١) من مقاله بعنوان « الإصلاح الاجتماعى » المنشور بمجلة الرسالة ، عام ١٩٤٠ ، انظر المقالات

(٢) نشر فى « السياسة الأسبوعية » ، العدد ١٥٥ ، سنة ١٩٤٠ .

يريد هدم عمل الأوّل لينفرد بالأحدوثة والصّيت . وامتدت هذه العدوى إلى الحكومات المصرية التي تعاقبت فشّرت ووعّدت وسارت ، ثم خَلَفَتْهَا أَخْتُهَا لتتنقض كل ذلك وتبدأ من جديد بلجانها ومشروعاتها ، وهكذا دواليك . ويتعجب من ذلك الأستاذ شاكر متساءلاً « فهل في الذين يصير إليهم السلطان الوازع العامل من يستطيع أن يتجرّد لمكافحة هذه الأوبئة ، ولو كان في كفاحها كفاح لنفسه وشهوته وأغراضه ؟ » هيهات ! وهو سؤال يعرف الأستاذ شاكر سلفاً إجابته قبل أن يلفظ به ، والسؤال الحقيقي عنده هو « هل تجدُ مصر أخيراً طبيبها المغامر ؟ ليتها تجد » (١) . فهو لا يزال يؤمن أن الإصلاح لن يكون إلا على يد رجل مغامر طبّ خبير بأدواء هذا الشعب المسكين . ولكن هذا الشعب المسكين ماهو إلا جزء من أمة كلها تعاني ما يعانيه ، غير أنّ في هذا الشرق ميراثاً نبيلاً من السمو والقُوّة والقدرة على البقاء ، ولكنه يفقد « زعيمه الذي يُهبّ من جماعته كالأسد تنفرج عنه الأجمة الكثيفة على الرأس حديد النظرة ، تنفجر القوة من أعضائه » (٢) .

وظلت مصر والعالم العربي والأستاذ شاكر في انتظار خروج هذا الرجل ، وطال الانتظار ولكن الأستاذ شاكر لم يخامر قلبه شك قط ، بل كلما امتد الزمان وطال البلاء تحوّل ماكان يذكره مجرد ذكّر ورجاء إلى يقين قاطع بيّن . ففيما يشبه النبوءة كتب في مقال بعنوان « لمن أكتب » هذه الأسطر بنور البصر المُوحي من البصيرة « لمن أكتب ؟ لم أحاول قط أن أعرف لمن أكتب ؟ ولم أكتب ؟ ولكنني أحسّ الآن من سيرّ قلبي أنّي إنما كنت أكتب ، ولازلت أكتب ، لإنسان من الناس لا أدري من هو ، ولا أين هو ؟ أهو حيّ فيسمعني ، أم جنين لم يُولد بعدُ سوف يُقدّر له أن يقرأني ؟ ولست على يقين من شيء إلا أن الذي أدعو إليه سوف يتحقق يوماً على يد من يُحسّن توجيهه هذه الأمم العربية والإسلامية (٣) » فأنا

(١) انظر مقال « العيد » ، مجلة الرسالة ، ١٩٤٠ . وانظر المقالات ١ : ٧٦ .

(٢) انظر مقال « هذه هي الساعة » ، مجلة الرسالة ، ١٩٤٠ ، وانظر المقالات ١ : ٢٠٤ .

(٣) انظر مجلة الرسالة ، ١٩٤٨ ، وانظر المقالات ١ : ٥٥٦ .



أكتب لرجل أو رجال سوف يخرجون من غمار هذا الخلق ، قد امتلأت قلوبهم بالقوة التي تنفجر من قلوبهم كالسيل الجارف ، تطوح بما لا خير فيه ، وتروى أرضا صالحة تنبت نباتا طيبا ... سوف ينفرد رجل يقود الشعوب بحققها لأنه منها : يشعر بما كانت تشعُر به ، ويألم لما كانت تألم له ، وينبض قلبه بالأمانى التي كانت تنبض فى قلوبها . وهو وحده الذى يعرف كيف يرفع عن عيونها حجاب الجهل ، وي طرح عن كواهلها قواصم الفقر ، ويملاً قلوبها بما امتلأ به قلبه من حُب هذه الأرض التي تعيش فيها مضطهدة ذليلة خائفة . إنه الرجل الذى خلطت طبيئته التى سُخِّقَ منها بالحرية ، فأبث كل ذرّة فى بدنه أن تكون عبدا لأحد ممن خلق الله على هذه الأرض . فهو يُشرق من جميع نواحيه على أجيال الناس كلها كما تشرق الشمس ترمى بأشعتها هنا وهنا . ولا يملك الناس إلا أن يُصِيبُوا لها وجوههم وأبدانهم ليذهب عنهم هذا البرؤ الشديد الذى شلهم وأمسك أوصالهم عن الحركة . وهو يسير بينهم فتشربى نفسه فى نفوسهم ، فتموج الحياة فيهم بأمواجها التى لا يقف دونها شيء مهما بلغت قوته وجبروته » (١) . ثم يختم المقال مؤكدا أن هذا الرجل آت لا محالة ، فقد بلغ السيل الزبى ، وتأصل الفساد واستشربى ، واستشعر الناس أن شيئا سوف يقع ما له من محيص ، وأنه مُوات قريب ، « ألا إن هذا الشرق لينتظر صابرا - كعادته - هذا الرجل . وإنى لأحس أن كل شرقى يتلقت لا من حيرة وضلال ، بل توقعا لشيء سوف يأتى قد أتى زمانه » (٢) . « فأنا إن كتبت ، فإنما أكتب لأتعيجل قيام هذا الرجل من غمار الناس ، لينقذنا من قبور جثمت علينا صفائحها منذ أمد طويل . وليس بيننا وبين هذا البعث إلا القليل » (٣) .

وبعد أربع (٤) سنوات من كتابة هذا المقال خرج جمال عبد الناصر من غمار

(٢) نفس المصدر ١ : ٥٥٨ .

(١) المصدر السابق ١ : ٥٥٦ .

(٣) نفس المصدر ١ : ٥٥٩ .

(٤) خلال هذه السنوات لم يكتب الأستاذ مقالات سياسية فى مجلة الرسالة ، وليس معنى ذلك

أنه توقف عن كتابة المقال السياسى ، فقد نشر ست مقالات سياسية فى « اللواء الجديد » بين عدد ٧ أغسطس ١٩٥١ ، وعدد ٢٥ سبتمبر من نفس السنة .

هذا الشعب المسكين وخرج معه رجال من غمار هذا الخلق ، فاستبشر الأستاذ شاكر ، فقد صح ما تَوَقَّع وتحقق مابه تنبأ . فكان من أشد المؤيدين لهؤلاء الرجال خلال الشهور الأولى من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان له دور فعال - لا يعلمه إلا قليل - فى مسألة الإصلاح الزراعى ، فكما ذكرت قَبْلُ أن الأستاذ رشا مهنا - الذى عُيِّن وصيًا على العرش - كان من أصدقاء الأستاذ شاكر ومن رُوَاد ندوته . وقد أُسِرَ للأستاذ شاكر أن جماعة الإخوان المسلمين يقفون ضد إصدار قانون الإصلاحى الزراعى ويمارسون شتى أنواع الضغوط لإيقافه ، ولكن الأستاذ شاكر استطاع أن يقنع الأستاذ رشا مهنا ببطلان حجج الإخوان المسلمين الذين تبَنُّوا هذه الدعوى ، وأبان له تاريخ محمد على وأسرته من بعده فى الاستيلاء على أراضي المصريين دون وجه حق ، ودون سبب شرعى أو مبرر تاريخى . وبذلك اكتسب أنصار الإصلاح الزراعى مؤيدا قويا ، فقد نافح عنه الأستاذ رشاد مهنا مسلحا بما زوّده به الأستاذ شاكر - وهو من هو فى تاريخ السياسة المصرية - بالحجج الدامغة والبراهين التاريخية الناصعة .

ولكن سَوعان ماتبيّن للأستاذ شاكر وغيره من الشعراء والمفكرين الأحرار أن النظام الملكى الفاسد الذى ولى أفسح مكانا لآخر طاعٍ مستبدّ . فكتب بعد ما يُقْرَب من خمسة أشهر من قيام ثورة ١٩٥٢ مقالا - استجابة لدعوة الأستاذ أحمد حسن الزيات - فى مجلة الرسالة (٥ يناير ١٩٥٣) بعنوان « فيم أكتب » . والمقال يُشعر أن الأستاذ شاكر يتحدث عن العالم العربى عامة ومانزل به من بلاء المحتل قرابة قرن أو يزيد ، ولكن القارىء اليقظ لن يفوته هجوم الأستاذ شاكر على النظام السياسى الجديد ، وأنا ناقلٌ منه هنا فقرات لترى مصداق ما أقول : « ومنذ ذلك اليوم والأحداث فى الشرق العربى الإسلامى آخِذٌ بعضها برقاب بعض . وحركت الأحداث المتتابعة نواعس الآمال ، فهتّت تمسح عن عيونها النوم المتقادم . ثم حملت فى أكداس الظلام المركوم . فأوهمتها اليقظة أن الظلام من حولها يُومض من بعيد بيصيص من نور ، فتنادت الصيحات بانقشاع الظلم : وافرحته ! وصرختُ وأنا فى محبسى : واحسرتاه ، أغمى رأى الظلام نهارا ! »

ولك أن تسأل أى أحداث تلك التى حركت نواعس الآمال فى الشرق العربى الإسلامى بين سنة ١٩٤٨ (وفى السنة التى كتب فيها الأستاذ شاكر آخر مقال سياسى فى مجلة الرسالة بعنوان « لِمَن أكتب » وبين سنة ١٩٥٢ التى قامت فيها الثورة المصرية ؟ أهى جلاء بريطانيا عن مصر والسودان ؟ أهى تبنى الأمم المتحدة لقضية مصر والسودان ؟ أم هى احتلال فلسطين والهزيمة المنكرة للجيش العربية ، أم هى المجازر التى ارتكبتها الصهاينة ضد عرب فلسطين العُزل ؟ أم هى جلاء فرنسا عن الجزائر ؟ أى هذه الأحداث حرك نواعس الآمال فهبت الشعوب تمسح عن عيونها النوم المتقادم ؟ وقرأ المقالات الست التى أشرتُ إليها فى الهامش السابق ، والمنشورة فى « اللواء الجديد » سنة ١٩٥١ فكلها تتحدث عن التوازل التى داهمت الشرق الإسلامى من جراء الاحتلال وفساد السياسة الذين صنعهم الاستعمار ليقودوا بلادنا . ولا يُفْلِت القارىء مغزى كلمة « وصرخت وأنا فى محبسى » ، فالأستاذ شاكر لا يلقى الكلام على عواهنه ، فكل كلمة يكتبها هى فى حاقّ موضعها عما استقر فى ضمير نفسه ، فهو يعرف حق الكلام ، ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده ، وما يوجب اللفظ من المعانى وما يتناوله من دقيق الاستنباط ، فهى صرخة سجين « طعين أفنى الليالى انتظارا » كما يقول فى رائيته . وإذا كنتَ فى شك مما أقول فاقرأ هذه الفقرة من نفس المقال : « ثم وَجَدْتِنِى فجأة فى موج متلاطم من الضلالات ، تتقاذفه ضلالات العلم المكذوب ، وضلالات الرأى المدلس ، وضلالات السياسة الخداعة ، وإذا الأرض من حولى تعجّ بترتيل مظلم مخبول ، وإذا السماء تهتف بتسييح كالح مزور ، وإذا صوتى يضيع فى سمعى ، فهو إِذْنٌ فى أسماع الناس أَضْيَعُ ، وتردّد فى صدرى شعر الحكيمى ، فاستمعتُ له وسكتُ :

مُتْ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ عَن دَاءِ الْكَلَامِ  
 إِنَّمَا السَّالِمُ مَن أَلْجَمَ فَاهُ بِإِلْجَامِ

والأستاذ شاكر لم يسكت أبدا من قبل ، فقد هاجم دون وِجَل شردام السياسة الذين لوْثُوا تاريخ الحياة الإسلامية والعربية ، وأصحاب السلطان الذين وصفهم

بأنهم « حثالة التاريخ الإنساني » ، وأعمل مِغولا لم يفلَّ أبداً في صَروح الاحتلال .  
 فما الذى جدَّ الآن يجعله يؤثر « السلامة والسكوت » ! ولكن أنى لهذه النفس  
 التى تَأْتى أن تنهَضَّم أن تركز للصمت ، وأنى لهذه النفس التى حملت سلاحا  
 مغموسا فى المداد تدافع به عن الحرية وكرامة الإنسان أن تستكين ، وهى نفس  
 إذا أُخِذَتْ بالعشْف والاعتسار انقلب الذى فيها ضاريا لا يُطيق ولا يُطاق . لذا  
 يخاطب الأستاذُ الزيات فى آخر المقال بقوله « وإذْنُ قد كُتِبَ عليَّ أن أنصب  
 وجهى لهذا الشقاء الصَّيْخُود ، لا أبالى أن أحترق ، ولا أحفل أن أعود سالما  
 ولا أبه لما يصيبنى ، مادام حقا عليَّ أداؤه ... فمنذ حملتُ إليك هذا القلم ،  
 استجابة لدعوة لم أجد رَدَّها من الأدب ولا من الوفاء فى شىء ، عرفتُ أنى سوف  
 أكتب كما كنت أكتب قديما ، لأتعبج انبعاث رجل من غمار أربعمائة مليون  
 من العرب والمسلمين ، تسمع يومئذ لحكمته الأجيَّة فى بطون أمهاتها ، وتهتدى  
 بهديه الذرارى فى أصلاب الآباء والأمهات ، ولكنك بعدُ قد أنزلتني بحيث يقول  
 القائل :

حيث طابثُ شرائع الموت ، والمو

ثُ مِرازا يكون عَذْبُ الحِياضِ » (١)

خاب ظن الأستاذ شاكِر فى الرجل الذى خرج من غمار الشعب المصرى  
 المسكين ، ظنَّه رجله المنتظر ولكن لأيا ما تبين غير ذلك ، فولَّى وجهه شطر الأمة  
 الإسلامية كلها يفضها بناظره يترقَّب خروج هذا الرجل من غمار أربعمائة مليون  
 من العرب والمسلمين . رأى الأستاذ شاكِر بعد ثورة ١٩٥٢ بلاء نازلا يخوضه  
 الناس كأنه رحمة مُهداة . ورأى حيث تَلَفَّت وجوها تكذب ، وجوها مَكْذُوبا  
 عليها . وسمع أصواتا تَخْدَع ، وأذانا مَخْدُوعَة بما تَسْمَع ، وقرأ كلاما مغموسا فى  
 النفاق ، وشاهد بطشا وبغيا . فأوجس فى نفسه خيفة واستشعر خطرا مُحَوِّما ،  
 ومن ثم تستطيع أن تفهم لماذا قال إنه نصب وجهه لهذا الشقاء الصيخود ،

(١) انظر ١ : ٥٨٧ من المقالات .

لا يبالى أن يحترق ولا يحفل أن يعود سالما ، ثم استشهد بهذا البيت عن شرائع الموت التي أنزلها إياها الأستاذ الزيات حين دعاه أن يكتب بعد انقطاع دام خمس سنين . ولولا خشية الإطالة لأنتيك بأدلة أخرى من المقالات الثلاث التي أعقبت هذا المقال ، وهي : أبصر طريقك ، باطل مشرق ، غرارة ملقاة ، وهي آخر ما كتب في ٢٣ فبراير ١٩٥٣ وهو في محبس عزله التي ارتضاها لنفسه منذ ذلك التاريخ . فقد عزم على أن يدع قلمه قارًا حيث هو في سنة لا تنقطع حتى يعلوه صدأ لا ينجلى . وكان قبلُ قد نذر على قلمه أن لا يكفّ عن القتال في سبيل العرب ما استطاع أن يحمله وما أتيح له أن يجد مكانا يقول فيه الحق ويدعو إليه ، ولكن مجلة الرسالة التي وصفها بأنها « ملاذ الأقلام الحرة التي لا تشيها عن الحق رهبة » ، ولا تصدّها عن البيان مخافة » قد بات عسيرا أن يجرى قلمه على صفحاتها ، فقد أُغْلِقَت مجلة الرسالة بعد آخر عدد كتب فيه مقاله « غرارة ملقاة » في ٢٣ فبراير ١٩٥٣ . وإذا كان الأستاذ شاكر قد كفّ قلمه عن الكتابة ، فلم يكف لسانه عن الكلام ونقد النظام السياسي آنذاك فاعْتُقِلَ مرتين خلال حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، أولهما استمرت تسعة أشهر من ٩ فبراير سنة ١٩٥٩ إلى آخر أكتوبر من نفس السنة ، وثانيتها دامت ثمانية وعشرين شهرا من ٣١ أغسطس عام ١٩٦٥ إلى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٧ . وكانت الذريعة التي تعلق بها النظام بشأن الاعتقال الثاني أن الأستاذ شاكر كان يرمى إلى إثارة فتنة طائفية بمقالاته التي كتبها ردا على لويس عوض .

فانظر الآن أي ضرب من الرجال هو ! شاعر فذّ تجاهل شعره النقاد ، ولم يلتفت أحد منهم إلى « القوس العذراء » إلا بعد ثلاثين سنة من نشرها . وباحت عبقرى أتى بمنهج فريد في كتابه « المتنبي » لم ينتبه إليه أحد ، وكاتب واسع الثقافة يقوم بكل علوم العربية لم يقدره أحد حق قدره ، ومجاهد سياسي أفنى حياته يدافع عن وطنه وعروبته ، وتراثه وحضارته وعربيته ، فذهب قوله باطلا وضاع صوته مخنقا ، ولم يجن من حياته إلا شقاء انتهى به إلى ظلام السجون .

جعل الرّجل كل ذلك ظهريا ، وعاش في عزلة فرضها على نفسه غير مبال

بشيء ، ذكره الناس أو نسوه ، وقنع بطلاب العلم وأهله الذين كانوا يترددون عليه للنهل من علمه ، وضنَّ على جيله وما تلاه من أجيال بعلمه القديم أن يعثه من رفاتهِ التي قبروها بتجاهلهم وجحودهم . ولم يغب عنه أن هذه العزلة قد فعلت أفعالها بالأجيال التي تعاقبت فحالت بينهم وبينه ، يقول « وضعت اسمي في صندوق مغلق ، لا يعرف مافيه إلا عدد من قدماء القراء . أما الأجيال الحديثة فهي تمرَّ عليه بلا مبالاة ، ثم لا تجد ما يحفزها على الكشف عما يحتويه الصندوق المغلق ، والكاتب إذا وضع قلمه صدئ ، وإذا حجب اسمه عن القراء ، نُسي اسمه ، وانظمس رسمه ، ودخل في حيز الموتى ، وإن كان يعد في الأحياء » ص ١٠٧١ .

وإذا كانت هذه العزلة قد حجبت عن جيلنا والجيل الذي سبقنا ، فما بال الأجيال الذي تلتنا ؟ ألم تكن مقالاته في الرد على لويس كفيلة بنزع الغشاوة عن العيون فتبصر هذا المجاهد السياسي الذي شرع قلمه رمحا حديد السنان مدافعا عن أمته وعرويته وإسلامه غير عابئ بما يصيبه ، ولا يبالي أن يعود من رحى هذه الحروب سالما أو مُكَلِّما مشخنا بالجراح ، أو مكبلا بالقيود في غياهب السجون ؟ ألم تكن مقالاته « نَمَطٌ صعب ونمط مخيف » زعيمة أن تجعل النقاد ودارسى الأدب يقتفون خطاه في تحليل القصائد العربية القديمة ؟

وأين كانت مجامع اللغة العربية منذ تأسست حتى انتخابه عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ ، وعضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٨٢ ؟ فهذى أربعون سنة أو تزيد أغفلته المجمع كأنه غير جدير بعضويتها ، وقل مثل ذلك في كل مؤسسات مصر الثقافية والتعليمية التي كانت ستفيد من خبرته لو أفسحت له مكانا حين كانت تعج بأشباه المثقفين وأدعياء العلم .

وأين كانت الهيئات التي تمنح الجوائز للعلماء والأدباء ورجال الفكر كفاء ما أسهموا به في تقدم أمتهم والتمكين لبقاء حضارتها ؟ هل ضُربَ بينها وبين عطائه الذي لم ينقطع أربعين حولا كَرِيتا بالأسداد حتى عام ١٩٨١ ؟

وأين كانت الجامعات ومعاهد العلم هذه السنين ذوات العدد ، فلم توجه طلابها لدراسة إنتاجه البعيد الغور في أعماق الفكر والمتراحم الآفاق في أجواء الشعر والأدب والنقد واللغة حتى سنة ١٩٨٥ ؟

إذا استطعت أن تكون مُقْسِطًا ، وأجبت في حَيِّدَة دون أن تهوى في مزلق الأهواء فهمت لماذا أثر الأستاذ شاكر أن يعيش رهين بيته ، وقد صار إحساسه المبهم القديم بانغماسه في « حياة فاسدة من كل وجه » متصاعدا يقينا لاشك فيه ، وفهمت أيضا قصة الكتاب التي حكيثها في صدر هذا التقديم .

وبعد ،

فقد خالفْتُ الأستاذَ محمود شاكر مرتين ، مرة في حياته في صدر شبابه بِنَشْرِي شعر الأحوص الأنصاري ، ومرة بعد مماته بعد أن ولَّى الشباب وَأَنْفُتْ على العمر بنشري مقالاته ، وكنت محقا في الأولى ، وما أخطأت في الثانية ، فلعله - طيب الله ثراه - يفيء إلى الحق في هذه كما عاد إليه في تلك .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ .

عادل سليمان جمال

ليلة النصف من شعبان ١٤٢٣ هـ

الاثنين ٢١ أكتوبر ٢٠٠٢ م

دبي ، دولة

الإمارات العربية

\*\*\*

## نموذج من خط الأستاذ محمود محمد شاكر

١- حيث دعيت إلى الغاء هذه الكلمة بين أيديكم ، كان أدن ما نكرت فيه أنه أمة ذ. أنواع الأخطار التي تهيئ بلادنا ، والأخطار التي تنعقد في كياننا فمن السوس في العرق العتيق .. ولست أعني معروف السوادنة وهدمها ، بل أعني جميع بلاد الشرق ، وبلاد البربر ، وبلاد الإسلام .. ففتحت فيما أرى رقعة واحدة ، لا هدف واحد هو الحرية ، ~~فقط~~ ففتحت لنا ذك عدة واحدة ~~لها~~ هدف واحد ، هو أن يسلبنا هذه الحرية .

٢- وكنت رأيت الأخطار أكثره أنه مما لم يجر في حديث واحد ، ورأيتك فيما تترتب إلى زمني بعيد ، رأيتك قد تطورت أطوارا على فكر الأيام . رأيتك المرة إذا ~~أخطرت~~ <sup>أخطرت</sup> أن يتسم هذه الأخطار بالدعوة أف ما كثيرة فتن ، ولذا أيقن إلا أنه يصرفها في شئ واحد فكل أيضا غير آثم ولا بجانب للصواب ، وهذا الشئ هو الاستعمار فالاستعمار لم يبت أن يمنع في هذا العنصر البريء من اللغة لكل معاني الأخطار ، وكل غباثت الشور التي اجتمعت في أمر الله بسلامت هذه الأرض . فأثرت أنه أحبط ما دعا هذا الحديث ، لا لثة شئ حدثت اليوم بذن لم يأت بالأسس التي من هذا تكلمت فديم قد تكلمت عليه الأعداء ، والحديث مع شروعه قديم أيضا منذ كان هذا الفتن اللعين . ولم تترك أجهال الشرق ترة وإهداء الزبير الصالح ، في غير الأحرار في كل بقعة من بقاعه ، ولم تترك برقع أيضا انابت العذيين ، الذين صبت عليهم الاستعمار غذاء غليظا ونكالا شديدا في كل مكان . ليس الاستعمار إذ ذك شئنا حديثا كان بدهانه لم يكن <sup>في</sup> ~~في~~ <sup>القول</sup> ، ~~فقط~~ <sup>فقط</sup> بدهانه أنته شئنا يتجدد في يوم . ويتجدد صورنا مستحقة مختلفة الأشكال ، بعضها شبح تنكره العين من النظرة الأولى ، وبعضها تعيق بغير إلى الغروب ، وكنت يلبغ الخاضع الذباب حتى يأس من المتقرب به ، فيعرف عنه تارة ويجهت أخرى ، فإذا <sup>طالت</sup> الزمان أن هذا البقيع الشقي لم ينكره ، <sup>أما</sup> ~~فقط~~ <sup>فقط</sup> وأخفاها . فهد الذي يأتي القلوب من أعضاب أركانها ، فيمكن ويهرب بمرورهم ، ويستوفى ويتشقى ، حتى لا يكاد ينفر منه أشد الناس بغير الاستعمار ، وأصعدتهم جملة على ما صاب وطوا .

٣- والأخطار الحديثة التي يشكك لفظ الاستعمار كثيرا لا يعمرها عذ . وأظهرها الآن خطر المطابع الديمقراطية التي كفت على الشرق كالذباب الضاري من كل أرض وفي كل ميدان . وخطر المطابع الشيوعية التي تشد على كل قلب ، وتلقى فيه سمومها . وتفتت فيه سمومها . ومع البلاد . أنه تجد كثيرا من الناس لا يزالون يؤمنون بأنهم سوف يتالون غيرا كثيرا - أو بعض الميز على الأقل - مع يد الفتنة الديمقراطية ، وأن تجد آخر من لا يزال يؤمنه بأن الفتنة الشيوعية لا تقصر كبير شبر لهذه البقعة المسكينه من بلاد العرب أو بلاد الإسلام أو بلاد الشرق . وهذا الغرب من الإجماع ، بل هذا الغرب من ~~الفتنة~~ <sup>الفتنة</sup> كالفئة قديم أكبر مما هو الاستعمار ، <sup>سعى</sup> ~~سعى~~ <sup>السعي</sup> ، ولا يزال يسعى إلى الإثبات <sup>منه</sup> ~~منه~~ <sup>منه</sup> ، والى <sup>تزيينهم</sup> ~~تزيينهم~~ <sup>تزيينهم</sup> شين البانهر ، لا <sup>عنه</sup> ~~عنه~~ <sup>عنه</sup> الطبيعة المتفتنة وهن . وقد أدرك الاستعمار ما شئت من هذا المقصد ، فمن أجل ذلك رأيت أن أمرت وجه الحديث إلى <sup>تأهت</sup> ~~تأهت~~ <sup>تأهت</sup> من فواج الاستعمار . ~~لأنها~~ <sup>لأنها</sup> <sup>لأنها</sup> أهدرت باليه . وبالعلم ، وارى التعصير في بيئتي ووافي في لجهير الله سبحانه ، هو الخطر القويق اللعين وراء خطر الديمقراطية ووراء خطر الشيوعية ، أو وراء خطر الإعتلاك العسكري السافر ، أو خطر الإعتلاك الاقتصادي الخلفم ، بل هو مادة التي خطر يتجدد علينا إلى أن يزول الاستعمار عنه وجد هذه اللذات .

• انظر « الاستعمار البريطاني لمصر » ، محاضرة بخطه لم تنشر من قبل - ص ٩١١ من المقالات .